التربية الإسلامية في المغرب

أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية

د. محمد عادل عبد العزيز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على سـيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين • وبعـد ، فان التربية الاسلامية التى كانت آساس ذلك الصرح الشامخ للحضارة الاسلامية عـامة ، مازال حظها من الدراسات قليلا جـدا ، وتحتاج الى مزيد من التنقيب والدراسة خاصة بعد آن اتضح دور التربية الاسلامية فى بناء الصرح الحضارى الانسانى والعمل على تطوره وارتقائه وبقائه •

واذا كانت التربية الاسلامية فى المغرب استمدت آصولها من المشرق بدءا من الفتح العربى فان المغرب سرعان ماوقع تحت التأثير الأندلسى نظرا للتفاوت الحضارى الذى نشآ بين الأندلس والمغرب فى قرونهما الأولى بحيث لم يمض على فتح الأندلس ثلاثة قرون من الزمان الا وازدهـرت حضـارتها ازدهارا هـائلا بحيث تركت بصـماتها على كل التـاريخ الاسلامى بل والعالمى •

ولقد ساعد آيضا على ازدياد قوة تيار التآثير الأندلسى على المغرب ذلك الاتحـاد السـياسى الذى جمع بين المغرب

والأندلس فى كيان سياسى واحد منــذ عهــد المرابطين فى منتصف القرن الخامس الهجرى وحتى نهاية عهد الموحدين فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ٠

وعلى الرغم من أن المغرب اكتمل نضجه الحضارى على عهد بنى مرين الذين حكموا المغرب فى الفترة من سنة: ٦٦٨ حتى ٨٦٩ هـ الا آن المد الأندلسى نتيجة للظروف السياسية المتلاحقة قد استمر طيلة: عهد بنى مرين فعمل على مزيد من اثراء حضارة المغرب الاسـلامية وخاصة فى مجـال التربية الأمر الذى جعل التربية الاسلامية فى المغرب بل والحضارة المغربية بصفة عامة ذات طابع خاص ٠

وهذا الكتاب الذى أتشرف بتقديمه لقراء العربية ، هو حلاصة الدراسات التى قمت بها فى مجال التربية الاسلامية فى المغرب حتى نهاية: عصر بنى مرين فى نطاق ماوقع تحت يدى من المصادر والمراجع التى اطلعت عليها فى مصر ٠

والله سبحانه وتعالى أسأل أن أكون قد وفقت بهذا الجهد المتواضع أن يكون البحث قد نال مايستحقه حتى يكون لبنة طيبة فى بناء تاريخ كامل للتربية الاسلامية فى قطر عزيز من أقطار الوطن العربى والاسلامى ٠

وتقتضى الأمانة آن آعترف بالفضــل الكبير لأسـتاذى الدكتور محمد محمد آمين آستاذ تاريخ العصــور الوسـطى بجامعة القاهرة الذى أعطانى من وقتــه وجهــده الكثير فى سبيل اعداد هذا الكتاب ٠

والله ولى التوفيق

محمد عادل عبد العزيز

مصر الجديدة فى ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٧
٢٤ نوفمبر ١٩٨٦

الفصل الأول

التعليم

أولا ـ برامج التعليم

موقف الدولة :

لم يكن التعليم فى المغرب مقيدا بقوانين تفرضها الدولة ، وانما كان حرا لا قيود عليه غير القيود التى يقررها ويفرضها العرف والعادة (١) • فكان التدريس أمرا مباحا لكل راغب فيه متى وجد فى نفسه الكفاءة لمزاولة مهنة التدريس بشرط ألا يكون ذلك فى مسجد من تلك المساجد الجامعة التى لها صفة المساجد الرسمية للدولة ، والا تطلب الأمر حينئذ الاذن بالتدريس من القاضى (٢) • كما أنه لم تكن هناك أية رقابة على المدرسين أو الطلبة من جهة الحكومة سوى مايدخل فى وظائف الحسبة حيث كانت من أهم اختصاصات المحتسب رعاية التربية وجعلها تسير فى اطار الشريعة الاسلامية ، ووفق الأخلاق الفاضلة والذوق السليم• فكان المحتسب يزور المدارس والكتاتيب بين حين وآخر ليتأكد من سلامة المبانى ، ومراعاة قواعد الشريعة الاسلامية فى تعليم الصبيان ، والضرب على أيدى المعلمين فى الكتاتيب وغيرها فى الابلاغ فى ضربهم لتلامذتهم • ومنع أدعياء العلم

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة الشعب) ص ١٩٥ •

(٢) المصدر السابق الصفحة ذاتها •

من التصدى لتعليم النــاس أو عــلاجهم أو الفتوى لهم فى الأحكام أو الجلوس للفصل فى قضاياهم وربما كانت جولاته التفتيشية فى معاهد التعليم تتناول أيضــا حضور بعض الدروس والاطلاع على مناهج التعليم ، والكتب التى يقررها المدرسون على طلبتهم ـ كما كان يدخل فى اختصاصه الأمر باصلاح مبانى معاهد التعليم المتداعية (٣) ٠

كما كان المحتسب الممثل لمذهب الجمــاعة فيمنع البدع والاهواء ويضطهد أهل المذاهب الشاذة عن مذهب الأغلبية ، ويعــزلهم عن المجتمع وعن الأمــاكن العــامة ويحظر عليهم ممارسة أى نشاط دعائى أو ثقافى (٤) ٠

مراحل التعليم :

كانت المراحل التعليمية فى المغرب نوعين من التعليم : النوع الأول منه وهو مايعرف الآن بالتعليم العام ٠ أما النوع الآخر فهو تعليم الصنائع وهو مايعرف الآن أيضا بالتعليم الصناعى ٠

وكان للتعليم العام مرحلتان فقط : المرحلة الأولى ٠ وفيها يتلقى التلميذ العلم فى المكتب (الكتاب) أو الزاوية ، وتشبه هذه المرحلة التعليم الابتدائى فى وقتنا الحــاضر ٠ وتبدأ متى بلغ الطفل سن التميز فى الخامسة أو السادسة من عمره ، وتنتهى عند البلوغ على وجه التقريب من الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة (٥) ٠

---

(٣) اقبال موسى : الحسبة فى المغرب ، رسالة ماجستير ٠ آداب عين شمس ١٩٦٨ ٠ ص ٥٦ ، ٥٧ ، عبد الرحمن بن زيدان : العز والصولة فى معالم نظم الدولة ج ٢ ، ص ٩٤ ٠

(٤) اقبال موسى : الحسبة ص ٥٧ ٠

(٥) Letoutrneal (R.) : Fés avant le Protoctorat, Paris, 1949, pp. 212-214,

والمرحلة الثانية فتشمل مايشبه المرحلتين المتوسطة والعالية فى عصرنا الحديث ، وتبدأ من سن المراهقة تقريبا، وقد يبكر الطالب فيلتحق بتلك المرحلة فى الحادية عشرة من عمره ، فليس فى التعليم الاسلامى فى العصور الوسطى بوجه عام مرحلة متوسطة أو ثانوية على نحو ماهو متبع الآن وان كنا لاندرى متى تنتهى تلك المرحلة الا أننا نعرف أن المدة المسموح بها للطلبة للسكنى فى مساكن الطلبة هى ستة عشرة سنة فى المغرب وخمس سنين بأفريقية (٦) .

أما التعليم الصناعى فلم تكن له مؤسسات تعليمية على نحو ماهو متبع الآن وانما كان بالممارسة . وذلك لأن الممارسة كانت فى نظرهم أتم فائدة فى الأحوال الجسمانية المحسوسة ، وكان الأولاد الذين يتوجهون للتعليم الصناعى كانوا يتدربون بالتدريج من البسيط الى المركب ، والبسيط هو الذى يختص بالضروريات ، والمركب هو الذى يكون للكماليات (٧) ، فأما الضرورى مثل الفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة والتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب (٨) . وكان أشهرها هو صناعة الصوف والغناء والجلد ودبغه وخرزة وهو صناعة الأحذية (٩) .

مناهج التعليم :

كان منهج تعليم الولدان فى المرحلة الأولى من التعليم يستهدف قبل كل شىء تمكين تلاميذ تلك المرحلة الابتدائية من قراءة القرآن مع حفظ بعض اجزائه أو حفظه كاملا ،

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩٨ .

(٧) المصدر السابق : ص ٣٥٩ .

(٨) المصدر السابق : ص ٣٦٤ .

(٩) المصدر السابق : ص ٣٦٣ .

ويحدد ابن خلدون السبب فى ذلك بأن أهل الملة متفقون فى القول بأن القرآن يجب أن يسبق كل شىء الى قلوب التلاميذ ليرسخ فى نفوسهم الايمان وعقائده كما أنهم متفقون فى القول بأن ذلك مما يجب أن يتم فى الصغر (١٠) ٠

وطبيعى أن يتضمن المنهج الدراسى فى تلك المرحلة من التعليم الى جانب قراءة القرآن وحفظه التدريب على الكتابة، واتقان التجويد والالمام ببعض أمور اللغة والنحو والفقه عندما تقتضى آية كريمة تفسيرا لغويا أو نحويا (١١) ٠

وكان مذهب أهل المغرب فى تلك المرحلة الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائلة، واختلاف حملة القرآن فيه ، ولا يخلطون ذلك بسواه فى شىء من مجالس تعليمهم ، لامن حديث ، ولامن فقه ، ولامن شعر ولا من كلام العرب (١٢) ٠ وقد استمر الحال على ماهو عليه بعد نضج الشخصية الثقافية للمغرب فى عصر بنى مرين ٠

أما المرحلة العالية من التعليم ، فلم تعرف هذه البرامج الاجبارية المفروضة التى تقيد الطالب من حرية الاختيار (١٣) ٠ وان كانت فى مجموعها دينية فى طبيعتها، فاشتملت على التفسير والحديث والتوحيد والفقه ، وهو الموضوع الذى ارتفعت منزلته تدرجيا ، وكان يشمل العبادات ، كما كان يضاف الى هذه المواد النحو والبلاغة والعروض والمنطق ومبادىء الرياضيات والفلك حيث كانا يستعملان فى التوقيت الدينى وتقسيم المواريث ٠ ولعله من

---

(١٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ٠

(١١) روجيه لاتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ترجمة : د٠ نقولا زيادة (بيروت ١٩٦٧) ص ١٧١ ، ١٧٢ ٠

(١٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٦ ٠

(١٣) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٢٧١ ٠

الممكن أن نضيف أيضا التاريخ الاسلامى والجغرافيا ، وشيئا من الكيميــاء ، ولكن عــلى مايبــدو آن العــلوم الطبيعية والاجتماعية لم تكن تحتل مكانا كبيرا فى المناهج الدراسية فى تلك المرحلة من التعليم (١٤) ٠

وكان الأساتذة يحرصون على وضع مناهجهم التعليمية من المتون التى تختار من كتب المؤلفين القدامى التى يغلب عليها أن تكون من وضع المشهود لهم بالعلم والمعرفة ، وان كان يفضل متن من متون المذهب المالكى (١٥) ، الذى كان يمثل محورا رئيسيا للتربية الاسلامية فى المغرب (١٦) ٠ وقد اشتهر من هؤلاء الأساتذة من كان يفتح فى مجلسه آكثر من ثمانين كتابا فيعرضها حفظا عن ظهر قلب (١٧) ٠ ومنهم من اشـــتهر بأن مجلسه كان وقفــا على كتــاب التهــذيب والرسالة (١٨) ، أو قراءة كتاب الموطأ (١٩) ٠

كما لجأ العديد من الأســاتذة الى وضــع المختصرات آو تدريسها مثل آبى محمد عبد الله القشتالى المدرس بمدرسة الحلفــائيين ، والذى كان يــدرس فيهــا مختصر المــدونة للبرادعى (٢٠) ٠

وقد ألقى لنا ابن خلدون فى مقدمته آضواء هامة على مناهج التعليم فى عصر بنى مرين من خلال نقده لتلك المناهج

(١٤) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٧ ٠

(١٥) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ٠ ترجمة : محمد مزالى ، والبشير بن سلامة (تونس ١٩٧٨) ص ٢٤٠ ٠

(١٦) المرجع السابق : ص ٢٤٠ ٠

(١٧) الكتانى : سـلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصـلحاء بفاس (فاس ١٣١٦ هـ) جـ ٣ ص ١٤٧ ٠

(١٨) المصدر السابق ص ٢٥٣ ، ابن القاضى : ص ٨٤ ٠

(١٩) الكتانى : جـ ٣ ص ٢٤٤ ٠

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٨ ٠

فى فصلين كاملين أحدهما تحت عنوان : «ان كثرة التآليف فى العلوم عائقة عن التحصيل» (٢١) • والآخر تحت عنوان: «ان كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتعليم (٢٢) • فيقول فى الأول : «اعلم أنه مما أضر بالناس فى تحصيل العلوم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات فى التعاليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفى عمره بما كتب فى صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولابد دون رتبة التحصيل» (٢٣) •

ويذكر ابن خلدون مثالا على ذلك ماكان متعارفا عليه فى شأن الفقه فى المذهب المالكى فيشير الى : «الكتب المدونة مثلا وماكتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمى وابن بشير والتنبهات والمقدمات والبيان والتحصيل على التنبيه ، وكذلك كتاب ابن الحاجب وماكتب عليه» (٢٤) •

ويخبرنا أن الطالب فى عصره • كان يحتاج الى دراسة هذه المؤلفات كلها كما كان يحتاج الى تمييز : «الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله» • مع أن مواضيع هذه المؤلفات : «كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم يطالب باستحضار جميعها وتمييز مابينها والعمر ينقضى فى واحد منها» (٢٥) • ثم

---

(٢١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٠ •

(٢٢) المصدر السابق : ص ٥٠١ •

(٢٣) المصدر السابق : ص ٥٠٠

(٢٤) المصدر السابق الصفحة ذاتها •

(٢٥) المصدر السابق الصفحة ذاتها •

يقـول ابن خلدون : «لو اقتصر المعلمون بالمتعلمين عـلى المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا» (٢٦) .

ولكن ابن خلدون يستدرك فيقرر : «ولكنه داء لايرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التى لايمكن نقلها ولاتحويلها» .

ثم يذكر ابن خلدون مثالا آخر من علم العربية : «يمثل أيضا علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ماكتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغـداديين والأندلسيين من بعـدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ماكتب فى ذلك كيف يطالب به المتعلم ويقضى عمره دونه ولايطمـع أحـد فى الغـاية منـه الا فى القـليل النادر» (٢٧) .

أما فى الفصل الآخر الذى تناول فيه ابن خلدون نقده لمناهج التعليم فى عصر بنى مرين فيعللها ابن خلدون بأنه : «ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطـرق والانحـاء فى العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ وحشو القليل منها بالمعانى الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم وربمـا عمدوا الى الكتب الأمهات المطولة فى الفنـون للتفسـير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب فى الفقه وابن مالك فى العربية والخـونجى فى المنطق وأمثالهم وهـو فساد فى التعليم وفيه اخلال بالتحصيل ..» (٢٨) .

(٢٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠١ .
(٢٧) المصدر السابق : ص ٥٠١ .
(٢٨) المصدر السابق : الصفحة ذاتها .

طرق التدريس :

لم يعرف المغــرب فى المرحلة الأولى من التعليم ســوى طريقة التلقين أو التحفيظ (٢٩)٠ والتى تكون وظيفة المعلم فيها تعليم الصبيان القــرآن الكريم والنحو والعــربية ٠٠ وهذه العلوم كلها لفظية تحتاج الى الحفظ والاستيعاب (٣٠) ويتم التلقين والتحفيظ اما بالقراءة فى المصحف آو الألواح أو التلقين عن ظهر قلب (٣١) ٠

وكانت الحلقة التى يلتف فيها الطلاب حول أستاذهم هى الطريقة السائدة فى المغرب فى جميع مراحل التعليم (٣٢)٠ حيث يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم يقرر الدرس ، ومتى فرغ منه ختمه بقراءة الفاتحة ، وعين لطلابه موضع الدرس المقبل (٣٣) ٠

وكان المعلمون فى الكتاتيب يحــرصون على آن يــردد التلاميذ المتحلقون من حــولهم القطع المعينة للحفظ بصوت مرتفع ويجودون فيها ، فكانت أصوات هؤلاء التلاميذ تنبعث من مختلف الكتاتيب ، وكل جماعة تقرآ من القرآن الكريم جزءا يختلف عما تقرآه الجماعة الأخرى ، وبالرغم من ذلك فقد كان المعلم يكتشف الغلطة يغلطها التلميذ بين الجماعة كلها فينزل المعلم به عقابا بقضيب يحتفظ به على مقربة منه ،

---

(٢٩) التميمى المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المعرب ٠ تحقيق : محمد سعيد العريان القاهرة ١٩٤٩م ص ٢٥٤ ، المغراوى : جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصــبيان ٠ تحقيق : أحمد جلولى البــدوى ، ورابح بونار ٠ الجزائر ص ١٨ ، ١٩ ٠

(٣٠) محمد أسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ٠ بيروت ١٩٥٧م ٠ ص ١٦١ ٠

(٣١) التميمى المراكشى : المعجــب ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، المغــراوى : جــامع جوامع ص ١٨ ، ١٩ ٠

(٣٢) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات ص ١٧٧ ٠

أما اذا كان الذنب أكبر من ذلك كالكسل أو اساءة الأدب أو الاساءة الى النظام فكانت العلقة هى عقاب التلميذ (٣٤) ٠

وكان لكل تلميذ لوح صغير من الخشب ، وقلم من ريشة الأوز ، ودواة للحبر ، وكان يكتب على اللوح الدرس اليومى، فاذا ماتعلمه التلميذ وحفظه حفظا مفروضا أن يظل معه مدى الحياة غسل اللوح ليكتب الدرس الجديد (٣٥) وعلى الصبيان متابعة التمرن على الكتابة حتى فى أيام عطلاتهم الاسبوعية ، وقد اعتاد المعلمون على استخدام الأمثال ، ومقاطع الشعر كنماذج لتجويد الخط (٣٦) ٠

كما كان المعلمون فى هذه المرحلة يحرصون أيضا على أن يدربوا التلاميذ على اتباع الآداب الاسلامية ، ولذلك كان المعلم يهتم بتربية التلاميذ على القواعد التى يجب على المسلم الصالح أن يتبعها (٣٧) ٠

أما التعليم فى المرحلة الأعلى من المرحلة الابتدائية فكان يتبع فيه طرق الاقراء أو السماع ، والسؤال والمناقشة ، وليس من الثابت ما اذا كانت تتبع طريقة الاملاء أثناء الدرس حيث كانت ذاكرة الطلاب مدربة تدريبا قويا على الحفظ (٣٨) ٠

وكانت طرق التدريس فى تلك المرحلة تتطلب قراءة أحد المتون وشرحه ، وكان على الطالب أن يقرأ ، وعلى

---

(٣٣) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات ص ١٧٩ ، د٠ على عبد الواحد وافى : لمحة فى تاريخ الأزهر القاهرة ١٩٣٦م ص ٥٩ ٠

(٣٤) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٠ ، ١٧١ ٠

(٣٥) المرجع السابق ص ١٧٠ ٠

(٣٦) Dodge : Muslim Education in Medieval Times Washington, 1962, p. 3.

(٣٧) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧١ ٠

(٣٨) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧١ ٠

المدرس أن يوقفه بين الحين والآخر ليشرح للطلاب فقرة أو جملة أو حتى كلمة واحدة عندما يشعر بالحاجة الى ذلك وقد يطول شرحه أو يقصر (٣٩) ٠

وقد أدت طريقة الاقراء الى فكرة تقرير كتب معينة على الطلاب يدرسونها وبذلك اقتصر التعليم فى تلك المرحلة العالية على مجموعات من الكتب يدور العقل فى فلكها ، ولا يتجاوزها الى سواها ، وانحصرت جهوده فى الحفظ والقراءة، وتكرار أقوال السابقين من غير اضافة أو تجديد ٠ ولما كانت دراسة الكتب القديمة المطولة أمرا يصعب الاستمرار فيه لذلك ظهرت بدعة الملخصات والمختصرات والمنظومات التى كانت شرا على التعليم فى المغرب حيث ضغطت الحقائق العلمية ضغطا أدى الى الغموض فى بعض الأحيان ، والتعقيد فى البعض الأخر كما كان من نتائجها أيضا صرف العقل عن التفكير العلمى الصحيح ، وقد عاب ابن خلدون هذه الطريقة ووصفها بالاخلال بالتعليم ، واعتبرها مقصرة فى تحقيق غايته وفى ذلك يقول : « ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء فى العلوم يولعون ويدونون منها برنامجا مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ وحشو القليل منها بالمعانى الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم ، وربما عمدوا الى الكتب الأمهات المطولة فى الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب فى الفقه ، وأصول الفقه ، وابن مالك فى العربية ، والخونجى فى المنطق وأمثالهم ٠ وهو فساد فى التعليم وفيه اخلال بالتحصيل ٠

---

(٣٩) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٨ ٠

وذلك ان فيه تخليطا على المبتدىء بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم .... ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعانى عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن الفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع فى فهمها حظ صالح من الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم فى تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهى ملكة قاصرة عن الملكات التى تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع فى تلك من التكرار والاحالة المفيدين لحصول الملكة التامة ، واذا اقتصر التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة. فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها » (٤٠) .

وحينما حاول الأساتذة استكمال النقص فى هذه الطريقة المنحرفة بعد أن أدرك بعضهم قصور تلك المختصرات عن ايضاح الحقائق العلمية التى تنطوى عليها لجأوا الى طريقة أخرى أكثر انحرافا فلم يعودوا الى الأصول والأمهات القديمة ذاتها أو الى تأليف كتب جديدة وسط بين الاسهاب الواسع والايجاز الضيق ، وانما قاموا يشرحون على ما لخصوا ويحشون على ما اختصروا ، وأخذت التعليقات والشروح تتراكم على الكتب المقرر للتعليم (٤١) .

وقد كانت الرواية هى النظام الاساسى الذى يقوم عليه التعليم فى تلك الفترة من العصور الوسطى ، ولا ريب أن هذا الاهتمام العظيم بالرواية يرجع الى طبيعة العقل العربى

(٤٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٤١) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

وقدرته الفائقة على الحفظ • وكان الاسناد من لوازم الرواية، وهو التحرى فى نسبة الأقوال الى أصحابها بأمانة ودقة فهو للرواية توثيق وتقوية وضمان لصحتها • وكان من عادة من يسمع شيئا عن أستاذ من الأساتذة ويدون ماسمعه أن يكتب كلمة على ما كتبه يسجل فيها اسم استاذه واسمه هو وتاريخ ذلك ويسمى ما يكتبه عندئذ (سماعا) (٤٢) ، ولم يكن التقييد ضرورة من ضرورات السماع وان كان عملا مستحبا لصيانة العلم من آفات الذاكرة (٤٣) •

أما طريقة السؤال والمناقشة فيبدو أن التربية الاسلامية فى المغرب لم تعط السؤال والمناقشة حقهما ، لذلك نجد ابن خلدون ينتقد اهمال التعليم فى المغرب لطريقة المناقشة ، ويعتبر ذلك سببا لضعف الملكة العلمية بين طلابها : «وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لاينطقون ، ولايفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلايحصلون على طائل من ملكة فى العلم والتعليم • ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة فى علمه ان فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده ، والا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك (٤٤) •

ويبدو أن طريقة المناظرة لم تستخدم الا بين الأساتذة بعضهم وبعض وخاصة فى مجالس الأمراء العلمية (٤٥) •

(٤٢) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ١٨٢ •

(٤٣) النووى : التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ص ١٤ •

(٤٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩٨ •

(٤٥) الكتانى : سلوة الأنفاس : ج ٣ ص ١٦٨ •

المواد الدراسية :

لم تكن معاهد التعليم تدرس بهـا كافة العلوم النقلية والعقلية مجتمعة على نحو مانجد فى معاهد التعليم الحديثة ، ولم يكن من المتيسر أن تجد فى المدرسة الواحدة أساتذة لكل مادة من مواد العلم فى تلك العصور بل كانت هناك مؤسسات تهتم بعلـوم وتهمـل غيرها ، ولعل ذلك يرجع الى الظروف المحلية ، ووجود الأستاذ من عدمه • ولهذا كثيرا ما كان الطالب يضطر الى الرحيل الى أقاصى البلدان رغبة فى علم لا وجود له فى بلده • على أن المساجد كانت بصفة عامة اكثر شمولا من المدارس فيما تقدمه للطالب من مواد دراسية حيث أنها لم تحدد فى آى عصر من عصـورها بمواد خاصـة أو غاية تخصصية معينة مثلما كان فى نظام المدارس التى غلب عليها التخصص العلمى وقامت على قاعدته • فوجدت مدراس خاصة بالقرآن ، واخرى للحـديث ، وثالثـة للفقـه ، ورابعـة للطب • • • • الخ (٤٦) •

واذا كان التعليم فى المغرب قد اشتهر باهتمامه بالحديث والفقه (٤٧) واللغة والآدب حيث كانت النظرة لتلك المواد أنها من ضروريات التربية الاسلامية التى يجب آن يتصف بها كل مثقف أو مشتغل بالعلم (٤٨) • الا آن المغرب عرف بتقصيره فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها (٤٩) •

ويبدو أن علم الفلسفة لم يستطع آن يغزو المسـاجد والمدارس سافرا واضحا نظرا لنفور المجتمع المغربى بصفة

---

(٤٦) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ١٦٥ ، ١٦٦ •

(٤٧) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، القاهرة ١٩٤٥م جـ ١ ص ٢٩٧ •

(٤٨) محمد عبد الرحيم غنيمة الجامعات الاسلامية : ص ١٦٣ •

(٤٩) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٩٧ •

عامة منه حتى أننا نجد عقلا كبيرا مثل عقل ابن خلدون يرى عدم جدوى الفلسفة الميتافيزيقية ، ولا يعترف بفائدة له بينما نجده يجل علم المنطق والطبيعيات والرياضيات اجلالا عظيما ، ويعقد في مقدمته فصلا في ابطال الفلسفة ، واثبات فساد منتحليها ومن قوله في هذا : « فهذا العلم كما رأيته غير واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع مافيه من مخالفة الشرائع وظواهرها • وليس له فيما علمناه الا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجاج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين • وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتفاق هو كما اشترطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية ، وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم (الرياضيات) وما بعدها ، فيستولى الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على ملكة الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات ، لأنها وان كانت غير وافية بمقصودهم فهي أصح ماعلمناه من قوانين الانظار • هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم • ومضارها ما علمت • فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها ، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ، ولا يكبن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة ، فقل أن يسلم لذلك من معاطبها » (٥٠) •

ولم يكن التاريخ أيضا من العلوم الأساسية التي تتضمنها المواد الدراسية ويبدو أنه كان علما غير رسمي يرتبط وجوده برغبات الأساتذة وهواياتهم الخاصة ، ومن ثم نلمس قلة الدراسات التاريخية في المساجد والمدارس بينما طغى علم

---

(٥٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٨٦ •

الحديث على التاريخ فانتزع منه السيرة النبوية ، وجزءا كبيرا من أنباء القرن الأول الهجرى ، كما استأثر أصحاب الأدب واللغة والنوادر بجانب منه يشمل الحياة العربية الصحراوية قبل الاسلام وبعده ، وأنباء المغازى والفتوح (٥١) ٠

أما الرياضيات فلم تكن المدارس خالية من كراس للعلوم الرياضية (٥٢) ٠ وتكاد الكيمياء ان ينعدم تدريسها فى معاهد التعليم ، وليس ذلك لتعصب فكرى أو دينى وانما لضعف الفكرة العامة عن الكيمياء فى المغرب ، وعدم الثقة فى غاياتها ووسائلها ، فقد كانت الكيمياء فى تلك العصور ترمى الى محاولة تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب (٥٣) ، ولما كانت هذه الفكرة نوعا من أنواع المخاطرة ، وعملا لايوثق به كثيرا فقد أضحت النظرة الى هذا العلم نظرة يشوبها الشك والارتياب حتى أن ابن خلدون يجعل ممارسته من عمل العاجزين عن معاشهم (٥٣) لذلك انحصر تدريس الكيمياء فى نوع منها موثوق به وهو (الكيمياء الطبية) أو الصيدلة التى كانت علما معترفا به فى البيمارستانات ، كما كان بعض الأطباء يجيدون الطب والكيمياء معا (٥٥) ٠ كما عرفت بعض المدارس العلوم الطبيعية كالضوء ٠

أما الطب فكان تدريسه عملا مشتركا بين المساجد والمدارس والبيمارستانات وقد تميزت الأخيرة بالدراسات الطبية الاكلنيكية بينما كان التعليم فى الأولى نظريا بحتا لا مجال للاختيار العملى فيه (٥٦) ٠

---

(٥١) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ١٦٦ ٠
(٥٢) المرجع السابق : ص ١٥٦ ٠
(٥٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٧٣ ٠
(٥٤) المصدر السابق : ص ٤٩١ ٠
(٥٥) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ١٧٢ ٠
(٥٦) المرجع السابق ص ١٧٣ ٠

ولم تكن هناك أدلة صريحة واضحة تدل على تدريس اللغات الأجنبية بمعاهد التعليم فى المغرب حتى نهاية عصر بنى مرين ، وان كان من المحتمل أنها لم تخل من بعض الدراسات من هذا النوع متى تهيأ لها الظروف ووجدت الرغبة من الطالب والقدرة والكفاية لدى الأستاذ (٥٧) ٠

هيئات التدريس :

كان التدريس فى المغرب أمرا مباحا لكل راغب فيه كما سبق أن أشرنا متى وجد فى نفسه الكفاءة لمزاولة التدريس ٠ بشرط ألا يكون ذلك فى مسجد من تلك المساجد الجامعة التى لها صفة المساجد الرسمية للدولة ٠ والا تطلب الأمر حينئذ الاذن بالتدريس من القاضى (٥٨) ٠ وفى تلك الحالة يكون على من حصل على الاذن أن يذيع ذلك على الملأ من أهل المدينة أو البلدة معلنا عن الدرس الذى يريد أن يلقيه فى أحد فروع العلم (٥٩) ٠

ولكن ليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك ضوابط بتاتا تقيد من الاشتغال بالتدريس سوى محاولة تكشف هؤلاء المدرسين الجدد حيث كان يحرص المدرسون القدامى والطلاب على حضور دروس هؤلاء المدرسين لمعرفة قدرتهم العلمية ، فان أنسوا منهم قوة احتفلوا بهم ، والتفوا حولهم ، وأقبلوا عليهم ، وان كشفوا فيهم ضعفا ، وادعاء ، هجروهم ، وانفضوا من حولهم (٦٠) ٠

وبعد أن تطورت فكرة الاجازة ، وتحولت الى شهادة علمية مهنية فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر

(٥٧) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ١٧٤ ٠

(٥٨) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٥ ٠

(٥٩) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٢ ٠

(٦٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ٠

الميلادى) • أصبح التدريس لا يمارسه الا من كان حاصلا على أجازة بالتدريس والفتيا من شيخه الذى درس عليه (٦١) •

وقد كانت كلمة مدرس مقصورة على من يقوم بالتدريس فى المرحلة العالية من التعليم سواء كان ذلك فى المسجد أو المدرسة ، أما كلمة (معلم) فكانت تطلق على من يتصدى لتعليم الصبيان فى المكاتب فى المرحلة الأولى من التعليم (٦٢) •

ويبدو أن المدرسين كانوا أحسن حالا من المعلمين كما هو الحال فى عصرنا الحاضر ، فقد كان المعلم فى المكاتب فقيرا كل رأسماله أنه يحفظ القرآن الكريم • لذلك كان يتلقى من التلاميذ أجرا أسبوعيا زهيدا بالاضافة الى الهدايا النقدية أو العينية التى كانت تحمل اليه فى الأعياد ، أو الاحتفالات المدرسية ، وخاصة الاحتفال بختم القرآن (٦٣) •

ولم يكن معلم القرآن ، معلما فنيا فحسب جل همه أن ينقل الى الأولاد نتفا من المعرفة ، وانما كان أيضا مربيا يسهر على تربيتهم على القواعد التى يجب على المسلم الصالح أن يتبعها (٦٤) •

أما المدرسون فقد كانت السمة الغالبة على أكثرهم أن الواحد من هؤلاء كان من ذلك الطراز الذى يمكن أن نطلق عليه (الموسوعى النظرة) فقد استطاع عدد كبير منهم أن يجمع بين أكثر من علم فمنهم من اشتهر باجادته لعلم واحد

---

(٦١) القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا (القاهرة ١٩١٥) ج ١٤ ص ٣٢٢ •

(٦٢) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٦١ •

(٦٣) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٦٩ ، ١٧٠ •

(٦٤) المرجع السابق : ص ١٧١ •

من العلوم ومن أمثلة هؤلاء ابراهيم بن عبد الرحمن التسولى الذى جلس لتدريس مذهب الامام مالك بمدرسة عدوة الأندلس ، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة (٦٥) .

ومنهم من اشتهر باجادته لمجموعة من العلوم ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ابن آجروم الذى برع فى علم النحو وعلم الفرائض والحساب ، كما كانت له مصنفات وارجيز فى القراءات (٦٦) .. وابو عبد الله محمد بن الشيخ الكبير الذى كان له باع سديد فى علم اللغة والأدب والبيان والنحو والتاريخ والحساب (٦٧) .

ومن هؤلاء المدرسين من اشتهر بأنه كان يفتح فى مجلسه أكثر من ثمانين كتابا فيعرضها حفظا عن ظهر قلب مثل أبو الحسن الصغير الذى كان يدرس المذهب المالكى بجامع الأصدع فى فاس (٦٨) .

وقد عرف بعض هؤلاء المدرسين بشدة العناية والتحرى للطهارة قبل البدء بدرسه ، وأكثر ماكان ذلك فى أساتذة القرآن والحديث لما لهما فى نفوس المسلمين من المكانة والقداسة ، وكان ذلك من الآداب المستحبة (٦٩) .

ولم يكن لأهل العلم عامة فى المغرب حتى نهاية عصر بنى مرين ــ سواء أكانوا أساتذة أو طلبة ــ ملابس تميزهم عن العامة مثلما عرف عن أهل المشرق فى تلك الفترة ، ولكن

---

(٦٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٢٥٣ ، ابن القاضى : ص ٨٤ .

(٦٦) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين النحاة . ت : محمد بو الفضل ابراهيم ج ١ ص ٢٥٣ .

(٦٧) الكتانى : سلوة ج ٣ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٦٨) المصدر السابق : ص ١٤٧ .

(٦٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان القاهرة ١٢٩٩ هـ ج ١ ص ٥٣٤ .

كان كل مايمتاز به أهل العلم عن العامة من الناس هو حجم عمائمهم وضيق القماش (٧٠) ٠

ويبدو أن المدرسين كانوا لايحصلون على مرتبات ثابتة من الحكومة ، الا أن الغرباء منهم كانوا يتمتعون بنعمة السكن ، كما نعم المدرسون عامة بالهدايا النقدية أو العينية التى كانت تدفعها لهم الحكومة فى مناسبة الأعياد الدينية ، والمناسبات الهامة التى كانت الحكومة تحتفى بها (٧١) ٠ وقد كان لكثير منهم أملاك خاصة قد تكون كبيرة ، وثمة آخرون ممن أصهر الى أسر غنية ، وأخيرا فقد كان هناك من يزيد من وارداته عن طريق تقديم النصح فى الأمور الشرعية ، وعلى العموم فقد كان هؤلاء المدرسون يعيشون فى يسار ٠

ومن المحتمل أن يكون لهؤلاء المدرسين فيما بينهم سلم أدبى ، وان لم يكن لهم سلم مهنى ينظم أمورهم ، وعلى كل حال فقد كانوا يشكلون هيئة العلماء التى صار لها تدريجيا دور متزايد الأهمية فى الحياة الثقافية والروحية والسياسية فى المغرب بأكمله ، ويبدو أنه رغم ماكان بين هؤلاء المدرسين من منافسة ، فانهم فى الغالب كانوا يظهرون تضامنا كبيرا ، ويتصرفون فى مواجهة الأمور الخطيرة تصرف الجسم الواحد (٧٢) ٠

الطلبة :

كان الولدان يرسلون الى المكاتب (الكتاتيب) متى بلغوا سن التمييز (٧٣) فى الرابعة أو الخامسة من أعمارهم ٠

(٧٠) العمرى : وصف افريقية والأندلس ص ٢٢ ٠
(٧١) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٥ ــ ١٧٧ ٠
(٧٢) المرجع السابق : ص ١٧٥ ــ ١٧٧ ٠
(٧٣) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٦٩ ٠

وطبيعى أن يكون الولدان فى هـذه السن المبكرة من هؤلاء الذين يسكنون على مقربة من تلك المكاتب (٧٤) ٠

وكان نظام اليوم المدرسى فى تلك المكاتب يقضى بأن تكون الدراسة على فترتين ، فكان على التلاميذ آن يذهبوا الى المكاتب مبكرين بعد صلاة الفجر (٧٥) يحمل كل منهم معه لوحه الصغير المصنوع من الخشب ، ودواة الحبر ، وقلما عبارة عن احدى ريشات الاوز ، ليكتب درسه اليومى ، فاذا مادخل التلاميذ غرف الدراسة جلسوا على الحصير الذى كان يغطى أرضية تلك الغرف متحلقين حول معلمهم (٧٦) ، ويظلون حتى قـرب الظهر حيث يذهبون الى منـازلهم لتناول طعـام الغذاء ، ثم يعودون بعد ذلك مبـاشرة الى المكاتب ليتابعون تعلمهم حتى صلاة العصر حيث ينتهى اليوم المدرسى (٧٧) ٠ كما كان التعليم فى هذه المكاتب يتوقف يومين كل آسبوع ، هما على الأرجح يوما الخميس والجمعة (٧٨) ٠

ولم يكن أكثر الأولاد ـ خاصة آولاد الطبقة الدنيا ـ يتجاوزون مستوى تلك الكتاتيب ٠ بل آن كثيرا منهم كانوا يتركون الدراسة قبل أن يختموا القرآن ٠ آما آولئك الذين كتب لهم أن يختموا القرآن ، وحـذقوا القراءة والكتابة ، وأتقنوا التجويد والتفقه فى بعض آمور اللغـة والنحو ، وكانوا قد بلغوا سن المراهقة فى الثالثة عشرة آو الرابعة عشرة من عمرهم ، فكانوا يتابعون دراستهم فى المرحلة الأعلى متى سمحت مواردهم بذلك (٧٩) ٠

---

(٧٤) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٠ ٠
(٧٥) المرجع السابق : ص ١٧٨ ٠
(٧٦) المرجع السابق : ص ١٦٩ ، ١٧٠ ٠
(٧٧) المرجع السابق : نفس الصفحات ٠
(٧٨) المرجع السابق : ص ١٧٨ ٠
(٧٩) المرجع السابق : ص ١٧٢ ٠

والى جانب هـؤلاء الطلبة الذين سمحت لهم الظـروف بالاستمرار فى تحصيل العلم فى المرحلة الأعلى ، كان هناك غيرهم ممن عاقتهم ظروف الحياة عن التبكير فى الدرس ثم رغبوا فى التعلم بعد أن تقدمت بهم السن (٨٠) .

وكان الالتحاق بمدارس تلك المرحلة العالية غاية فى البساطة ، ولايتطلب الأمر غير ذهاب الطالب الى المدرسة أو المسجد حيث يجلس الى الأستاذ الذى يريده . وكانت الحرية مكفولة له بالتنقل بين من يشـاء من الأساتذة دون قيـد أو شرط . كما كانت حريته مكفولة فى انتقاء مايشاء من مواد الدراسة ، ودراسة مايرغب فيه منها ، والاعراض عما لاتميل نفسه اليه . فلم يعرف التعليم فى تلك الفترة هذه البرامج الاجبارية المفروضة (٨١) ، كما لم يعرف التعليم فى تلك المرحلة العالية مددا محددة للدراسة وان كنا قد علمنا أن المدة المحـددة للاقامة فى مساكن الطلبة كانت سـتة عشرة سنة (٨٢) .

ولم تكن هناك ساعات محددة لالقـاء المحـاضرات فى معاهد التعليم سواء كان ذلك فى المسجد أو المدرسة ، وانما تخضع أوقات الدراسة فى تحديدها لأمرين أولهما مواقيت الصلوات الخمس اليومية ، حيث كانت العادة أن تلقى الدروس قبل الصلاة أو بعدها ، والأمر الثانى هو رغبة الأستاذ ، فهو الذى يحدد ميعاد محـاضرته حسب حالته . لذلك كان كل مسجد تنتظم الدراسة فيه تبعا لرغبات الأساتذة أو الطلاب أو مواقيت الصلاة (٨٣) .

---

(٨٠) ٨٠ محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٧١ .
(٨١) المرجع السابق : ص ٢٧١ .
(٨٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩٨ .
(٨٣) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٧٤ .

ولقد ترك التعليم فى تلك المرحلة العالية أبواب الالتحاق مفتوحة أمام الراغبين من الطلبة ، وهيأ للطالب السبيل ليدرس كيف يشاء ويختار الأستاذ الذى يناسبه ويرغب فى علمه ، ووفر له بذلك حرية الدرس ، كما لم يمنعه من العمل خارج معاهد العلم ليحصل على قوته ، ولم يبخل عليه بالمعونة المادية فى أغلب الأحوال حتى يتفرغ للدراسة والتحصيل (٨٤) • فلقد كان انتشار حركة الأوقاف الخيرية فى ربوع المغرب فى عصر بنى مرين ، وظهور المدارس التى تشتمل على مساكن للطلبة نقطة تحول كبيرة فى حياة الطلاب، وبداية عهد جديد لهم تهيأ فيه نوع من الضمان الاجتماعى يقيهم شرور العوز والفاقة •

وكان على الطالب أن يحضر المحاضرات التى كان يعقدها أستاذه عددا من المرات كل أسبوع ، وليس من الثابت ما اذا كان الطلاب يدونون شيئا فى الكراسات فقد كانت ذاكرتهم مدربة تدريبا قويا على الحفظ •

وكان هؤلاء الطلاب صنفين : طلاب المدن الكبيرة ، والغرباء عن تلك المدن • فالأولون يستمرون فى العيش مع أهليهم ، أما الصنف الثانى فكان أفراده يأتون من مختلف المدن الصغيرة والقرى المغربية حتى من تلمسان فى فترة خضوعها للسيادة المرينية (٨٥) • وطبيعى أن يتلقى الطلبة الذين كانوا على شىء من اليسار بعض المأكل من ذويهم • أما الآخرون فقد كانوا يستطيعون أن يزيدوا من ايرادهم باسهامهم فى الصلاة على الجنائز حيث كانوا يقرأون آيات القرآن أو يرددون بعض الأدعية ، كما كان البعض يحرص

---

(٨٤) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية : ص ٢٧٣ •

(٨٥) المرجع السابق : ص ١٧٩ ، ١٨٠ •

على اعطاء الدروس الخصوصية كما جرت العادة فى كل زمان ومكان • وليس فى الرواة من نقل عن الطلبة فى تلك الفترة أنهم كانوا يشتركون فى أعمال الشغب مما يدل على تفرغهم للعلم (٨٦) •

ولم يكن يتخلل فترة التعليم التى يقضيها الطالب حتى يتم دراسته أى امتحانات على النحو المتعارف بيننا بحيث لاينتقل الطالب من سنة الى آخرى الا بعد النجاح فيها واجتيازها ، وانما كانت فترات تقديرية لاقامة الطالب بالمدرسة يستطيع الطالب العادى خلالها أن يحصل قدرا لابأس به من العلم فى الفرع الذى يختص به وينال فى نهايتها الاجازات العلمية التى يودها من الأساتذة الذين يدرس عليهم (٨٧) •

وقد كان أمام الطالب الفاسى متى آتم دراسته فرص متعددة من العمل • فقد يدخل فى خدمة الدولة • أو قد ينضم الى طائفة المدرسين اذا كان من متيسرى الحال ، أو قد ينضم الى طائفة الموثقين ، وأهل الشرع وهما مهنتان كان لهما مستقبل باهر فى مدينة يغرم أهلها بالأمور الشرعية ، وقليل منهم من كان يكتفى بما يحصل عليه من ثقافة وعلم فينكفىء على العمل الذى يمارسه والده وأسرته • أو يعمد الى الاشراف على أملاك أسرته • وكان أكثر الغرباء يعودون الى مدنهم أو قراهم أو قبائلهم للقيام بمهمة التدريس أو الاهتمام بالقضاء •

وقد يجرب الموهوبون منهم حظه فى منافسة شباب فاس على الوظائف الشاغرة ، وكثيرا ماكانوا ينجحون (٨٨) •

(٨٦) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية : ص ١٨٠ •

(٨٧) الرجع السابق : ص ٢٧٢ •

(٨٨) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٨٠ ، ١٨١ •

ويبدو أن عدد الطلاب (الخريجين) كان يتناسب سنويا وحاجات البلاد · اذ ليس هناك مايشير الى آن البلاد مرت بها فترة عرفت فيها تخمة فى آهل العلم من الموظفين فى الدولة (٨٩) ·

الرحلة فى طلب العلم :

كان التجوال فى سبيل الدراسة والعلم آمرا شائعا بين طلاب العلم فى المغرب مثلما كان شائعا فى الشرق والغرب فى العصور الوسطى (٩٠) · فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ والأستاتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة فى طلب العلم ، وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس اليه آهمية كبرى فى التعليم فى تلك الفترة ، فلم يكن يكتفى الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده ، وانما كان لابد آن يقرآها عليه أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة فى مادته ، وحجة فى عمله ، وبدون ذلك لاتصح روايته ولا يوثق بقوله (٩١) ·

كما كان الاهتمام بالرحلة فى طلب العلم ضربا من ضروب التحقيق العلمى ، فلم يظهر كتاب لامام فى فنه الا سارع اليه طلاب العلم ليقرأه عليه بغية الانتماء وتحقيق اسناده اليه ونسبته له (٩٢) · وليتمكن طالب العلم آيضا من الاستفادة بتمييز الاصطلاحات بعد لقاء العديد من شيوخ العلم لما يراه من اختلاف طرقهم فى البلاد المختلفة التى يرحل اليها (٩٣) ·

---

(٨٩) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٨١ ·
(٩٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢١٥ ·
(٩١) المرجع السابق ص ٢١٢ ·
(٩٢) المرجع السابق ص
(٩٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٩ ·

ولا ريب أن مما أعان على كثرة الرحلات ما كان يلقاه طلاب العلم من رعاية أثناء رحلتهم نتيجة لما أوصى به الاسلام من البر بأبناء السبيل ، ورعاية المسافر والعطف عليه ، فأينما ذهب الغريب فى أنحاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى ، وجد المكان الذى يبيت فيه والموضع الذى يؤويه ، وكانت المساجد والمدارس – حيث الأماكن معدة لايواء الطلاب بالمجان والنفقه عليهم – خير مكان يقصده الغريب ، كذلك كانت الربط والزوايا والخوانق مفتوحة للمسافرين والقادمين (٩٤) .

وتجدر هنا الملاحظة بأن حكام المغرب لم يضعوا أمام حركة العلماء فى دولتهم آية عوائق ، كما سمحوا للوافدين من العلماء الاقامة فى ربوع دولتهم والتمتع بكل المميزات التى يتمتع بها أقرانهم من أهل العلم فى المغرب وقد شغل بعض هؤلاء الوافدين مناصب كبرى فى الدولة ، والأمثلة على ذلك لاتعد ولاتحصر .

وقد شملت الرحلة فى طلب العلم داخل بلاد المغرب معظم المدن المغربية وعلى رأسها مراكش وفاس كما شملت الرحلة فى طلب العلم كلا من المغرب والاندلس ، فتدفق طلاب العلم والعلماء من المغرب على مراكز العلم فى الأندلس . وأسهبت المصادر الاسلامية فى الحديث عن الأفراد الذين وفدوا على الأندلس من المغاربة لينهلوا العلم من معاهدها حتى أن الكثير من قضاة المغرب وعلمائه كانوا ممن تلقوا علومهم فى مراكز العلم بالاندلس .

ومن أشهر الشخصيات المغربية التى قصدت الأندلس

---

(٩٤) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢١٢ .

للدراسة فقيه المرابطين ومنشأ حركتهم عبد الله بن ياسين ، وقد وصل الى الأندلس فى عهد دويلات الطوائف حيث مكث هناك ما يقارب سبع سنوات ثم عاد بعدها الى المغرب (٩٥) كما كان على رأس الرحلة فى طلب العلم من أبناء المغرب الى الأندلس أبناء الحكام من المرابطين والموحدين وفى عصر بنى مرين ومن هؤلاء الذين رحلوا الى الأندلس من المغاربة ، أبو عبدالله محمد بن مرزوق والذى أسندت اليه مهمة الخطابة فى مسجد غرناطة كما أسندت اليه أيضا مهمة الاقراء ، والتدريس فى المدرسة بغرناطة (٩٦) ٠

ومن الذين رحلوا الى فاس وتلمسان من الأندلسيين ابن عباد الرندى الذى قرأ بهما الفقه ، والأصول ، والعربية ، كما رحل من الأندلس الى مدينة سلا بالمغرب الأقصى ، ومنها رحل الى فاس صاحب الشيخ أحمد بن عاشر ، والذى تولى الخطابة بجامع القرويين بفاس عشرة سنة حتى وفاته سنة ٧٩٢ هـ/١٣٨٩ م (٩٧) ٠

ومن علماء الأندلس أيضا الذين رحلوا الى المغرب فى العصر المرينى العالم الأديب الشاعر ابن الحاج الغرناطى ، الذى عاش فترة طويلة فى بلاط بنى مرين حيث عمل ضمن كتاب الانشاء سنة ٧٣٤ هـ/١٣٣٣ م فى عهد السلطان ابى الحسن المرينى ، وعهد خليفته السلطان أبى عنان (٩٨) ٠

ومن هؤلاء أيضا الكاتب الأديب محمد بن أبى القاسم

---

(٩٥) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ٠ نشر احمد علوش (الرباط ١٩٣١) ص ٩ ٠

(٩٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ت : د ٠ محمد الأحمدى أبو النور القاهرة جـ٢ ص ٢٩٤ ٠

(٩٧) المقرى : نفح الطيب جـ٥ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ٠

(٩٨) المصدر السابق : جـ ٧ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠

محمد بن أحمد بن جزى الكيلى من أهل غرناطة ، والذى كان يتولى مهمة الكتابة لسلطان غرناطة ابى الحجاج يوسف قبل رحيله الى فاس ، كما كلفه السلطان أبو عنان المرينى بكتابة رحلة ابن بطوطة ، وتدوين أحداثها بأسلوبه ، فجاءت كتابته لهذه المرحلة نموذجا رائعا لفن أدب الرحلات فى عصره (٩٩) ٠

ومن علماء الأندلس الذين حصلوا علومهم فى فاس ، ثم نقلوا ما حصلوه من علوم الى غرناطة ، أبو العباس أحمد بن قاسم بن البقال ، وأبو عبد الله بن البيوت المقرى ، والزاهد أبو الحسن بن أبى المولى ، وغيرهم ممن نهلوا العلم فى فاس على يد نخبة من علمائها (١٠٠) ٠

ولم تكن الرحلة فى طلب العلم قاصرة على بلاد المغرب والأندلس ، بل شملت بلاد غرب أفريقيا ، ومن هؤلاء المغاربة الذين رحلوا الى بلاد المشرق الغربى عبد الله المرينى رحل الى الاسكندرية ، وأقام بها ، وانضم الى أقرانه من أمثال ابن رواج ، وابى العباس القرطبى ، وابن عبد السلام ، وأصبح عبد الله المرينى مصدرا مثلهم من مصادر علم الحديث (١٠١) ٠

ومن علماء دولة مرين الذين نهلوا من فيض علماء مصر أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ، والذى بلغ عدد العلماء الذين تتلمذ وقرأ عليهم فى مصر أكثر من أربعين عالما ذكرهم المقرى فى نفح الطيب ، كان معظم من أهل القاهرة ، وعدد من أهل الاسكندرية ، ومدينة بلبيس ٠

---

(٩٩) المقرى : نفح الطيب جـ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ ٠

(١٠٠) ابن الخطيب : الاحاطة فى خبار غرناطة جـ٢ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ٠

(١٠١) المقريزى : الخطط جـ٢ القسم الأول ص ١٧٩ ، ١٨٠ ٠

ولم يترك ابن مرزوق أحدا في مصر الا وتعلم منه أو قرأ عليه حتى أنه قابل الشيخة المسندة فاطمة بنت محمد الفيومي البكري ، والتي يذكر المقري نقلا عن الاحاطة أنها كانت ست الفقهاء (١٠٢) ٠

وتبادل علماء المشرق الرحلة مع علماء المغرب ، فقد رحل الى العاصمة فاس بعض علماء المشرق من أمثال : محمد الهادي بن أبي القاسم بن نفيس الشريف وهو جد الشرفاء العراقيين بفاس ، وكان عالما أديبا حظي بمنزلة رفيعة عند الخاصة والعامة في دولة بني مرين ، وقد خرج السلطان أبو سعيد عثمان المريني لاستقباله بنفسه عند قدومه الى المغرب ، وأكرمه وأجزل صلته (١٠٣) ٠

كما وفد على المغرب في عهد السلطان أبي الحسن المريني الكثير من الشرفاء والفقهاء أمثال أبي عبد الله بن عبدالمعافي وأولاده من فقهاء مكة المكرمة ، ومن فقهاء المدينة المنورة ، أبو الحسن بن فرحون ، والذي كان بمعيته وفد كبير من أهل المدينة (١٠٤) ٠

كما رحل العديد من علماء المغرب الى بلاد مالي بغرب افريقيا حيث كانت المدن في مالي مراكز ثقافية تزخر بالفن والثقافة الاسلامية ، وقد تجمع في هذه المدن الفقهاء والخطباء والمفسرون للقرآن الكريم من المغاربة في العصر المريني وكان منهم القضاة ، والمدرسون ، وقد نال هؤلاء مكانة عظيمة في بلاط سلطان مالي (١٠٥) ٠

---

(١٠٢) المقري : نفح الطيب جـ ٥ ص ٣٩٢ ، ٣٩٥ ٠

(١٠٣) الكتاني : سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ١٧ ٠

(١٠٤) ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبا الحسن ٠ مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

(١٠٥) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار جـ ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ٠

وقصارى القول : لقد عكست الرحلة فى طلب العلم على التربية الاسلامية فى المغرب آثارا طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيا بالخير والنشاط الدائم وسبيلا الى تحقيق التبادل الثقافى، والتعاون الفكرى بين المراكز الثقافية فى ربوع المغرب وغيره من مراكز الثقافة فى العالم الاسلامى فى ذلك الوقت• ويمكن التعرف على مزايا الرحلة فى طلب العلم وفضلها على العلم والتعليم فى المغرب مما ذكره ابن خلدون فى مقدمته حيث يقول : « والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وماينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها • والاصطلاحات أيضا فى تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولايدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين» (١٠٦) •

الشهادات والألقاب العلمية :

يبدو أن المغرب لم يعرف الشهادات التى تحمل طابع المعهد العلمى واسمه كوحدة متميزة متكاملة حتى عصر بنى مرين ، وانما كان المعروف هو الاجازة التى كانت تمثل ضرورة علمية فى الأوساط العلمية • يحرص عليها العالم لضمان انتشار علمه سليما صحيحا خاليا من التحريف والأغلاط بقدر الامكان ، ويحرص عليها المتعلم لينال علما مضبوطا لاشك فى نسبته الى صاحبه ، وليثبت انتماءه الى

---

(١٠٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٩ •

عالم موثوق فيه • ومن ثم كانت الاجازات عملا شخصيا بحتا من اختصـاص الأستاذ وحـده ولا صـلة له بالمؤسسات التعليمية (١٠٧) •

ثم تطورت فكرة الاجازة فى العالم الاسـلامى عامة ، وتحولت الى شهادة علمية مهنية فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، وأصبح التدريس لا يمارسه الا من كان حاصلا على اجازة بالتدريس والفتيا من شيخه الذى درس عليه (١٠٨) •

واذا كانت الاجازة شهادة علمية أو مهنية أو ترخيصا بتحصيل الطالب مادة معينة أو اذنا له برواية علم من العلوم • فانها فى نفس الوقت لم تكن درجة علمية تحدد مكانة عن علم من العلوم • لذلك فقد اشتملت الحياة الثقافية فى العالم الاسلامى على مقاييس آخرى لبيان درجة العالم ومكانته فى علمه ومدى اجادته له وحجيته فيه ، وتلك هى الالقـاب العلمية التى تشبه الى حد كبير الدرجات العلمية العالية الآن كالماجستير والدكتوراه ، ولكن هذه الألقاب لم تكن تعطى بطريق الامتحان العام أو الخاص ، وانما كان يحصل عليها العالم غالبا نتيجة للمكانة العلمية التى يكونها العالم لنفسه ويلمسها فيه المجتمع والمشـتغلون بالدرس والبحث فيلقبه أهـل عصره باللقب العلمى الذى يناسـبه ويـدل عـلى قدره (١٠٩) •

وأهم الألقاب العلمية التى عـرفها المغرب حتى نهـاية عصر بنى مرين : (الامام) ويعنى هذا اللقب أنه الشخص

---

(١٠٧) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٢٢ ، ٢٢٧ •

(١٠٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٢٢ •

(١٠٩) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٣٠ •

الذى يقتدى به ، وقد أطلق هذا اللقب على كل عالم مبرز فى علمه سواء كان فى الفقه أو اللغة أو الطب أو غير ذلك من العلوم (١١٠) . (والحافظ) ، ويمنى الحافظ للحديث ، ولكنه استعمل فى عصر بنى مرين على علماء الحديث وأصحاب اللغة، ومن يحفظون الأخبار والآثار والأيام والمشاهد والتواريخ (١١١) . (والعالم والعلامة) ، حيث استعمل لقب العالم على الواقف على العلوم (١١٢) ، والعلامة بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء ، وهو العالم للغاية (١١٣) . (والشيخ) . وهو من ألقاب العلماء والصلحاء ، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرا لهم كما يوقر الشيوخ الكبار (١١٤) . ويبدو أن هذا اللقب كان منصبا علميا رئاسيا يعلى من شأن صاحبه (١١٥) (والفقيه) ، وهذا اللقب لم يكن قاصرا على المشتغلين بالفقه فحسب ، وانما توسعوا فى استعماله (١١٦) ، فكانوا يطلقونه على القاضى ، وعلى الكاتب والنحوى واللغوى (١١٧) . (والمحدث) وهو لقب لا يطلق الا على من حفظ الحديث وعلم عدالة رجاله وجرحها دون المقتصر على السماع (١١٨) . (والمقرىء) أطلقه المغاربة بشكل عام على مقرئى القرآن الكريم العارفين بقراءاته

---

(١١٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ٢٣١ .

(١١١) كريم عجيل حسين : الحياة العلمية فى مدينة بلنسيه الاسلامية . بيروت ١٩٧٦م ص ٣٥٧ .

(١١٢) خليل طوطح : التربية عند العرب ، القدس . ص ٥١ .

(١١٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٢١ .

(١١٤) المصدر السابق : ج ٦ ص ١٧ .

(١١٥) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٦٨م . ص ٢٤٤ .

(١١٦) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٣٤ .

(١١٧) المقرى أزهار الرياض فى أخبار عياض . نشر منه ثلاث أجزاء : مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى (القاهرة ١٩٤٢) ج ١ ص ٢٢١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢ .

(١١٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ١٤ .

الملمين بعلومه (١١٩) . (والرحلة) وهــو لقب
أكابر العلماء والمحدثين ، والرحلة فى اللغة مايس
أن الطلبة ترحل اليه (١٢٠) .

وكانت هناك عدة ألقاب أخرى خاصة بر
مثــل (المؤدب) و (المعــلم) (١٢١) والاســتاذ
والمدرس (١٢٣) ، والمعيد (١٢٤) . كما وردت أ
ماتدل عــلى الأعمــال العلمية الادارية ، كالفقي
وصاحب القلم الأعلى وشــيخ الكتــاب (١٢٥) .
الكتاب ، وكاتب السر أو كاتب السر والانشاء (٦

---

(١١٩) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ١٦٢ .

(١٢٠) المراكشى : الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة . تحق
عباس . بيروت ص ٨٧ ــ ٩٠ ، خليل طوطح : المرجع ذاته ص ٢٦٩ .

(١٢١) خليل طوطح : التربية ص ٤٨ ، كريم عجيل حسين : الحياة ا

(١٢٢) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ٢ ص ٣٢٨ .

(١٢٣) ابن سعيد الأندلسى : الغصون اليانعة فى شعراء المائة السـ
ابراهيم الابيارى . القاهرة ١٩٧٧ م ص ٥١ ، خليل طوطح : التربية ص

(١٢٤) خليل طوطح : التربية ص ٤٩ .

(١٢٥) د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأند

(١٢٦) ابن خلدون : التعريف ص ٧٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى

ثانيا ــ أمكنة التعليم

المكتب أو الكتاب :

المكتب موضع الكتاب ، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب · والجمع الكتاتيب ··· المكتب موضع التعليم ، والمكتب المعلم ، والكتاب الصبيان (١) · وكانت الكتاتيب في المغرب هي الأماكن التي يتعلم فيها صبية المسلمين مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم (٢) · أي أن هذه المكاتب تشبه مانسميه الآن بالمدارس الابتدائية ، واذا كانت ليست لدينا معلومات معينة عن تلك المكاتب في المغرب ، الا أنه من المؤكد أنها كانت تشبه جميع الكتاتيب في العالم الاسلامي بحيث لاتعدو أن تكون حانوتا ، أو حجرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه ، أو غرفة في منزل مؤثثة ببعض الحصر ·

الزوايا :

الزاوية مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مدرسة

(١) ابن منظور : لسان العرب · القاهرة ١٨٨٢ م · ص ١٩٣ ·

(٢) الجزنائي : زهرة الآس في بناء مدينة فاس · تحقيق : الفردبل · الجزائر ١٩٢٢ م ص ٨٣ ·

بتدائية . والمدرسة التى هى معهد ثانوى (٣) ، فالزاوية تشبه ما نسميه الآن مدرسة اعدادية ، والزاوية من حيث الوضع أشبه شيء بالخانقاه الشرقية ، وقد زادت انفصالا منذ عصر الموحدين عن الرباط الذى هو لها بمثابة الأم . اذ أن الرباط مؤسسة متعددة الشعب . احداها شعبة التعليم والتى عرفت بالزاوية حيث كان على نفقتها يسكن الطالب ويأكل ويشرب ويلبس ويتعلم . ثم يتحول فى الغالب الى مدرس بها أو بغيرها من الزوايا (٤) .

والزوايا على أنواع : أولا الزاوية البسيطة ، أى التى لم تنشأ على ضريح أحد الأولياء ، وانما هى مجموعة من الأبنية المتلازمة منها مبيت الطلبة وهى مكونة من عدة غرف حول صحن كبير ، والكتاب وغرفة التدريس والمكتبة والمسجد ثم المرافق اللازمة . وتكون الأراضى التى حولها حبسا عليها فى الغالب للانفاق منها ومن الهبات ، والاعطيات التى تصلها من أهل الخير .

أما النوع الثانى من الزوايا فهو الزوايا ذات الولى التى انشئت حول ضريح أحد الأولياء .

والنوع الثالث من الزوايا فهو الزوايا الطرقية وهى الخاصة بأصحاب الطرق الصوفية حيث يرددون فيها الأناشيد والاحزاب بالطريقة الى جانب التعليم (٥) .

ويبدو أن بنى مرين اهتموا بتلك الزوايا منذ توليهم السلطة ، حيث ورد فى كتاب الذخيرة أن السلطان أبا يوسف

---

(٣) عثمان الكعاك : محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٥٨) ص ٥٢ .

(٤) المرجع السابق : ص ٥٢ .

(٥) المرجع السابق : ص ٥٣ .

يعقوب أول سـلاطين بنى مـرين بنى الزوايا فى الخلوات ، وأوقف لها الأوقاف الكثيرة (٦) ٠

المدارس :

ان ظهور المدارس بالمفهوم الخاص ذى الأهداف المحددة فى المغرب فما زال يكتنفـه شيء من عـدم الوضـوح لقـلة النصوص التاريخية فى المصادر التى يمكن بواسطتها اماطة اللثام عن هذا الجانب من جوانب التربيةالاسلامية فى المغرب، وقد أدى ذلك الى انقسام الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع الى فريقين :

فريق ذكر أن الحكام الموحدين هم أول من أسسوا المدارس فى المغرب والأندلس وقسموا المدارس التى انشأها الموحدون الى ثلاثة أنواع متخصصة هى :

أولا : المدرسة العامة لتخريج الموظفين أو الحفاظ الموحدين وتكوين الاطار الادارى ٠ وذلك جـريا على العـادة المألوفة فى عموم المغرب ، ان كل دولة جديدة تؤسس معهدا جديدا لاخراج متوظفيها حتى تثق بهم وتثق بسلوكهم الادارى الذى يجب أن يتمشى منسجما مع سياسة الدولة المحدثة ٠ ثم هى تقضى أو تحاول أن تقضى على مدرسة الدولة السابقة حتى تستأصل كل عنصر من عناصر سـياستها التى اذا بقيت شوشت عليها ولا تأمن أن تقلبها رأسا على عقب (٧) ٠

---

(٦) مجهول : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ٠ نشر محمد بن ابى شنب (الجزائر ١٩٢٠) ص ١٠٠ ٠

(٧) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ٠ الدار البيضـاء ١٩٦٥ م ٠ ٣٦٨ ، عثمان الكعاك : محاضرات ص ٥٥ ٠
Scott S. P. : History of Moorish Empire V. 2, p. 297.

ثانيا : المدرسة الملكية لتعليم الأمـراء الموحـدين ، وكان الغرض من تلك المدرسة الهاء الأمراء بالتعليم على نهج معين حتى لايكثر فراغهم فتكثر مطامعهم (٨) ٠

ثالثا : مدرسة تعليم فن الملاحة بمدينة الرباط (٩) ، ولعل هذه المدرسة البحرية هى الأولى من نوعها فى العالم الاسلامى ، اللهم الا أن تكون ديار الصناعة لانشاء السفن (١٠) ٠

أما الفريق الثانى من الباحثين فقد أنكر على الموحدين تأسيسهم للمدارس وزعموا أن تأسيس المدارس فى المغرب من مظاهر التقدم العلمى لعصر بنى مرين فيذكر أحدهم : «ولا صحة عندنا لما ذكره ابن أبى زرع فى أخبـار يعقوب عبد المؤمن المنصور الموحدى (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) من أنه أنشأ المدارس فى بلاد افريقية والمغرب والاندلس ٠ اذ ليس هناك مايؤيد هذا القول فى مصادر التاريخ المغربى الأخرى ٠ ولو قد قام يعقوب أو غيره من ملوك الموحدين بانشاء شىء من المدارس لبقيت هذه المدارس الى عصور من خلفهم ومن غير المعقول أن يكونوا قد أسسوا شيئا منها ثم انقرض ٠ اذ المدة بين وفاة هذا الملك الموحدى وقيام الدولة المرينية لاتكاد تبلغ القرن من الزمان ٠ وهى مدة غير كافية لاختفاء المدارس من الوجود تماما بحيث لايلمس لها أحد من أهـل العصور التالية أثرا أو تبقى لها باقية ٠ والظـاهرة السـائدة فى حضارة الاسلام أن أمثال هذه المؤسسات تمتاز فى الغالب بطول الاجل والقدرة على البقاء على الرغم من تقلب السياسات

---

(٨) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ١٤٣ ، عثمان العكاك : محاضرات ص ٥٥ ٠

(٩) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء ١٩٦٥) ص ٣٦٨ ، عثمان الكعاك : محاضرات ص ٥٥ ٠

(١٠) عثمان الكعاك : محاضرات ص ٥٥ ٠

لاعتمادها على نظام الوقف فى حياتها المالية ولمتانة عمارتها وقوة بنيانها» (١١) .

لكن هذه الأسانيد التى ذكرها البـاحث لانستطيع أن نجعلها فيصلا فى القضية خاصة بعد آن نقرآ ماذكره الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله فى كتابه مظاهر الحضارة المغربية (القسم الثانى) والذى يقول فيه : «والقصـور الموحـدية وكذلك المدارس لم يبق منها شىء وقد انمحى كذلك أثـر المارستان الذى بناه المنصور ، والذى وصـفه المراكشى فى المعجب بأنه لا مثيل له فى الدنيا كل ذلك قد اندثر ولم يبق منـه شىء ، فمـا الذى يمنع آن تنـدثر المـدارس هى الأخرى !؟» .

ونحن حينما نضيف الى ماسـبق آن الموحـدين كانوا أصحاب دعوة اعتمدوا عليها فى حكم المغرب ، فان هذا يكون أدعى الى تأسيس المدارس بهـدف نشر تعاليمهم ومفاهيمهم الجديدة على شعب المغرب، وجعل الاطارالادارى آو العسكرى، أو حتى جمهور العلماء الموجه للرآى العـام يساير نزعات الدولة الجديدة ، ويرتضى ببرامجها ، ويهتف لقراراتها ، ولكنه فى هذه الحالة يكون الفـريق الآخـر الذى آنكر على الموحدين تأسيسهم للمدارس صدقوا آيضا فى زعمهم .. لان تلك المـدارس التى ورد آن آسسوها لم تكن مـدارس بمفهوم المدارس الخاصة ذى الأهـداف المحـددة الذى عرفه المغرب فى عصر بنى مرين الذين لم يستندوا فى حكمهم الى دعوة اصلاحية دينية خاصة كما فعل الموحدون ، بل كانت حركتهم حركة سياسية محضة لم تلبس ثوب الدين ، وكان اعتمادهم فى الابقاء على الحـكم مرجعه الى قوتهم الذاتية

---

(١١) محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١٢) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهرة الحضاره المغربية (القسم الثانى) الدار البيضاء ١٩٥٨م . ص ٥٣ ، ٥٤ .

فقط . وبهذا يكون كل من الفريقين صادقا فى دعواه اذا ماحددنا مفهوم المدرسة فى كل من العصرين .

وأول مدرسة آنشأها بنو مرين فى المغرب هى مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس سنة ٦٧٠ هـ/١٢٧١م (١٣) وهى المدرسة التى عرفت بمدرسة الصفارين لأنها آقيمت بالقرب من السوق الذى تصنع فيه اوانى النحاس الأصفر ولما تم بناؤها عين لها السلطان المدرسين وأجرى على طلبتها النفقة كما أنه زود المدرسة بخزانة كتب (١٤) . ولم تكن مدرسة الصفارين هى المدرسة الوحيدة التى أقامها السلطان أبو يوسف، وانما أنشأ مدرسةآخرى بمدينة مراكش (١٥). ثم جاء السلطان أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المرينى فبنى فى الحى الجديد من مدينة فاس مدرسة فاس الجديدة آو مدرسة المدينة البيضاء سنة ٧٢٠ هـ/١٣٢٠ م (١٦) كما بنى السلطان أبو سعيد آيضا المدرسة العظمى آو مدرسة العطارين بفاس سنة ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م وموضعها بازاء جامع القرويين وأشرف على انشائها الشيخ العالم أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار وحضر السلطان بنفسه عملية الشروع فى بنائها ووضع حجر الأساس بها : «فجاءت آية فن الدهر لم يبن مثلها ملك قط قبله وآجرى بها ماء العين الغزير ورتب الفقهاء لدراسة العلم وآسكنها الطلبة وقدم

---

(١٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤ هـ) جـ ٧ ص ٢١٠ ، الجزنائى . زهرة الآس فى بناء مدينة فاس . تحقيق : الفرد بل (الجزائر ١٩٢٢) ص ٧٤ ، ٧٥ ، السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٥٤ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ص ٢٤ ، ٢٥ روجيه لاتورنو : المرجع ذاته ص ٢٨ .

(١٤) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢١٠ ، الجزنائى : ص ٧٤ ، ٧٥ ، السلاوى : جـ ٢ ، ص ٥٤ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ص ٢٤ ، ٢٥ روجيه لاتورنو : المرجع ذاته ص ٢٨ .

(١٥) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ص ٢٥ .

(١٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ١٨٠ .

فيها اماما ومؤذنا وخدمة يقومون بأمرها وأجرى على الكل المرتبات واشترى الأملاك ووقف لها احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابه» (١٧) ٠

وبنى الأمير أبو الحسن بن أبى سعيد وهو ولى العهد فى حياة أبيه مدرسة الصهريج بفاس وموضعها غربى جامع الاندلس من حضرة فاس وبنى حولها سقاية ودار وضوء ، وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج باب الجديد ٠ أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار وحبس عليها رباعا كثيرة (١٨) ٠ وتسمى هذه المدرسة أيضا المدرسة الكبرى وهى لاتزال باقية الى اليوم (١٩) ٠

وقد بنى السلطان أبو الحسن المرينى بعد اعتلائه عرش المغرب المدرسة العظمى فى مدينة مراكش قبلى جامع ابن يوسف ٠ يقول السلاوى : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتنميقها قدر هذا السلطان ، وعلم عظم همته ومحبته للعلم وأهله» (٢٠) ٠

كما بنى السلطان أبو الحسن المدرسة العظمى بمدينة سلا قبل أن يبنى المدرسة المصباحية بفاس بحوالى أربع أو خمس سنوات (٢١) ٠ وقد كانت تلك المدرسة من المدارس العالية المتخصصة فى دراسة الطب (٢٢) ٠ أما المدرسة

---

(١٧) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٥٤ ، ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ٢٨١ ، محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ١١٢ ، ١١٣ ٠

(١٨) ابن ابى زرع : الأنيس المطرب ص ٢٨٠ ،
Marcais : Manuel d'Art Musuliman tome II, p. 504.

(١٩) Marcais : Op. Cit., tome II, pp. 504-514.

(٢٠) السلاوى : الاستقصا جـ٢ ص ٨٦ ٠

(٢١) Marcais : Manuel d'Lrt Musulman tome II. p. 505.

(٢٢) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ص ٣٠ ٠

المصباحية فقد أنشأها السلطان أبو الحسن سنة ٧٤٢ هـ/ ١٣٥٢م وموضعها جوف جامع القرويين ، وسبب تسميتها بذلك الاسم أن السلطان أبا الحسن لما أنشأها فوض الفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتى للتدريس بهـا فنسبت اليه ، كما أنها تسمى أيضا مدرسة الرخام (٢٣) ·

ولم تكن هذه هى كل المدارس التى أنشأها السلطان أبو الحسن وانما أنشأ فى كل من مكناسة ، وطنجه ، وسبته ، وأنفا ، وازمور ، وآسفى ، واغمات ، والقصر الكبير ، والعباد بظاهر تلمسان ، والجزائر ، مدرسة ، كما أنشأ بمدينة تازا القديمة مدرسة الحسنة (٢٤) ·

وأنشأ السلطان أبو عنان فارس بن أبى الحسن المرينى المدرسة العنانية بمدينة فاس سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩م (٢٥) وهى من أكبر مدارس المغرب والتى لاتزال باقية حتى اليوم (٢٦) ·

وفى سنة ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م أتم السلطان أبو عنان بناء المدرسة التى كان قد بدأ بناءها السلطان أبو الحسن بمدينة مكناس ، وقد عرفت تلك المدرسة باسم المدرسة العنانية نسبة الى السلطان أبى عنان الذى أتم بناءها (٢٧) ·

ويبدو أنه لم تكن تلك المدارس التى ذكرناها هى كل مابناه سلاطين بنى مرين حيث يشير السلاوى الى كثرة آثار

---

(٢٣) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٨٧ ·

(١) ابن مرزوق : المسند ص ٢٧٣ ·

(٢٥) Marcais : Manuel d'Art. tome II, pp. 504-517.

محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ص ٤٧ ، ٤٨ · ت

(٢٦) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ١١٤ ·

(٢٧) Marcais : Op. Cit.. tome II, pp. 504-517.

بنى مرين من المدارس فيقول : «وبالجملة فقد كان لبنى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها» (٢٨) ٠

ويبقى أن نشير الى آن بعض هذه المدارس كان بدءا لمرحلة التخصص العلمى لماهد التعليم حيث نجد من بينها مدرسة للقراءات السبع (٢٩) ٠ وأخرى للعلوم الطبية (٣٠) ٠

مدارس الطب العليا :

عرف عصر بنى مرين فى المغرب نوعين من معاهد التعليم الطبى هما : المدارس الطبية النظرية ، والبيمارستانات (المستشفيات) التى تمثل فيها الجانب العملى ٠ ومنذ آن تقلد بنو مرين زمام الأمور فى بلاد المغرب ، وهم يحرصون على اقامة المستشفيات أما المدارس الطبية النظرية فاننا لانعلم الا بالمدرسة العظمى التى آنشأها السلطان آبو الحسن المرينى فى مدينة سلا (٣١) لتكون مدرسة عليا متخصصة فى العلوم الطبية (٣٢) ، الا آنه يبدو آن حركة بناء البيمارستانات كانت أوسع انتشارا ، بل وصاحبت قيام دولة بنى مرين منذ سنواتها الأولى ، فقد كانت البيمارستانات فى تلك الفترة من العصور الوسطى تمتاز بصلاحية كبيرة لتعليم الطب حيث الحالات المرضية ماثلة أمام أعين المتعلمين ، والأدوية والعلاجات قريبة متوافرة (٣٣) ٠

---

(٢٨) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٥٤ ٠

(٢٩) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٥ ٠

(٣٠) Marcais : Manuel d'Art tome II, p. 554.

(٣١) Marcais : Op. Cit., tome II. p. 514

(٣٢) محمد الفاسى : نشاة الدولة المرينية ص ٣٠ ٠

(٣٣) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ١١٨ ٠

ولهذا نرى السلطان يعقوب بن عبد الحق ــ أول سلاطين بنى مرين ــ يحرص على بنــاء المارستانات ، وتعيين الأطباء لها (٣٤) • ثم تابع سـلاطين بنى مـرين الاهتمام ببنـاء البيمارستانات فأنشأ السلطان يوسف بن يعقوب مارسـتانا بمنصورة تلمسـان (٣٥) • كمـا بنى السلطان أبو الحسن المرينى بفاس البيمارستانات (٣٦) ، واهتم بتجديد احدى المستشفيات التى كانت بالقرب من القيسارية بفاس (٣٧)• كما أنه اهتم أيضا بالعلاج الطبيعى حيث أنشأ (حمة خولان) على عين من المياه المعدنية الساخنة (٣٨) •

وقد تولى ادارة هذه البيمارستانات نظار تعينهم الدولة لهذا الغرض ومن الذين تولوا ادارة بيمارستان فاس فى عهد السلطان أبى عنـان المرينى محمد بن القـاسم بن أبى بكر القرشى المالقى (٣٩) • وكان على الطالب متى أتم دراسته فى فن من فنون الطب أو كتـاب معين فيه تقـدم الى رئيس الأطباء وطلب منه اجازته للاشتغال بالطب (٤٠) •

المساجد :

كانت المساجد فى المغرب كسائر بلدان العالم الاسلامى على رأس معاهد التعليم والثقافة ، ولم تمنع فكرة انشـاء

---

(٣٤) مجهول : الذخيرة السنية ص ١٠٠ ، السلاوى : الاستقصا جـ ص ٣٢ •

(٣٥) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٢١ •

(٣٦) ابن مرزوق : المسند ص ٢٧٦ •

(٣٧) روجيه لاتورنو : فاس ص ٤٣ •

(٣٨) الجزنائى : زهرة الاس ص ٢٦ ، ٢٧ •

(٣٩) ابن القاضى : جـذوة الاقتباس فيمن حـل من الاعلام بمدينـة فاس (فاس ١٣٠٩ هـ) ص ١٩١ •

(٤٠) ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور • تحقيق : مراد كامل • القاهرة ١٩٦١ م ص ٢٣٠ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام دمشق ١٩٣٩ م • ص ٤٣ •

المدارس وانتشارها فى دولة بنى مرين من أن يبقى المسجد محل تعليم ، بل انه ارتفع طبقة فصار للتعليم المتوسط ، أو طبقتين فصار للتعليم العالى (٤١) • وقد كانت المساجد على نوعين •

(أ) المساجد الكبيرة الجامعة :

وهى التى تقوم باشائها الحكومة أو هى تتبعها ، وهى التى ترتب لها الأئمة ، وتتولى الانفاق عليها ، ويقوم بأمرها السلطان أو من يفوض اليه شئونها كالقاضى الذى ينصب لها الامام فى الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء (٤٢) •

(ب) المساجد الصغيرة :

وهى غير تابعة للحكومة فلا دخل لها فى ادارتها ، ويقوم بادارة مثل هذه المساجد أهالى الأحياء التى تقع بهـا ، وهم الذين يتولون الانفـاق عليها ، وترتيب الأئمـة للصـلاة فيها (٤٣) •

وقد اهتم حكام المغرب ببناء المساجد الجـديدة ، كما اهتموا أيضا بترميم المساجد القديمة واصلاحها ، وتزويدها باحتياجاتها وكما اهتم المرابطون والموحدون ببناء المساجد الجامعة فى المغرب على نفس نمط جامع قرطبة • فقد اهتم أيضا بنو مرين ببناء المساجد الجامعة فى كل مدينة جديدة بنوها كالمسجد الجامع الكبير الذى بناه السلطان أبو يوسف

(٤١) عثمان الكعاك : محاضرات فى مراكز الثقافة ص ٧٢ •

(٤٢) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ •

(٤٣) الماوردى : الأحكام السلطانية • القاهرة ١٢٩٨ م ص ١٨٢ •

يعقوب بن عبد الحق فى مدينة فاس الجديد سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م (٤٤) ،والمسجد الجامع بتلمسان الذى اتفق الرحالون على أنهم لم يروا له ثانيا (٤٥) ٠

كما يشير ابن مرزوق الى مساجد آخرى غير هذه المساجد التى أقيمت فى المدن الجديدة ، وأن تلك المساجد لاتقع تحت الحصر وأنها بنيت فى سائر جهات الدولة (٤٦) ٠

وحرص بنو مرين على تهيئة المساجد كى تؤدى رسالتها على أتم وجه ، فاهتموا بانارتها بالقدر الكافى حيث نجد المسجد الجامع بفاس وقد علقت به ثريا كان وزنها تسعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون كأسا (٤٧) ٠

ومن ذلك أيضا ما أمر به السلطان آبو عنان المرينى بأن يوضع فى أعلى مآذن المساجد الموجودة بفاس صارى من الخشب يرفع عليه بالنهار علم فى أوقات الصلاة ، وفى الليل يوقد سراج مزهر ليستدل من بعد من لم يسمع نداء المؤذن ، كما أمر بأن يرفع على الصارى فى آيام الجمعة علم أزرق ليعلم الناس أن اليوم يوم جمعة (٤٨) ٠

ولقد لخص لنا الجزنائى الدور العلمى والثقافى الهام الذى اضطلع به جامع القرويين بقوله : «وكان جملة من الفقهاء يدرسون العلم فى مواضع من هذا الجامع ، وكانوا أهل الشورى ممن يقتدى بهم يقصدهم الناس من أقطار البلاد ، فمن متجرد لتلاوة القرآن ومن مدرس ٠ ومن طالب

(٤٤) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٤٣ ٠

(٤٥) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر ص ٥٧ ٠

(٤٦) ابن مرزوق : المسند ٢٧١ ٠

(٤٧) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ١٦٢ ، السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٤٣٠

(٤٨) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ٢٢٥ ، الجزنائى زهرة الاس ص ٣٩ ٠

لما شاء من فنون العلم في مجالس شتى وكان فيه أيضا جملة من العلماء والعباد يلتزمونه فقد تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ، ويقصدهم الناس للفتوى وطلب العلم» (٤٩) وتجدر الاشارة هنا الى أن جامع القرويين دخل مع دولة بنى مرين مرحلة جديدة فى تاريخه نتيجة لحرية الفكر التى كفلها الحكم المرينى للجميع فأصبح مركزا رئيسيا لاشعاع فقه المذهب المالكى على يد عدد كبير من علماء المالكية الذين جلسوا لتدريس هذا المذهب ، كما جلسوا فى غيره من المساجد والمدارس لا فى فاس وحدها بل فى المغرب كله ، بعد أن كانت كتب المذهب المالكى من المحظورات طوال فترة حكم الموحدين ، وقد بلغ من هيمنة المذهب المالكى فى عصر بنى مرين أن أحد علمائه بل لعله أكبر علماء مذهب الامام مالك فى تلك الفترة وهو عبد الرحمن بن عفان الجزولى كان يحضر مجلسه العلمى أكثر من ألف فقيه من فقهاء المالكية (٥٠) ٠

وهكذا شهدت الدراسة في المساجد فى عصر بنى مرين نشاطا علميا ضخما واتخذت صورة الجامعات الاسلامية لاسيما فى جامع القرويين ٠ والواقع أن جامعة القرويين قامت بدور هام للحياة الثقافية وذلك لكثرة من تعلم بها وتخرج فيها من العلماء والطلبة ٠ فقد أخرجت كثيرا من أعلام الثقافة والفكر فى الفقه والكلام واللغة والأدب والطب والرياضيات من أمثال المحدث ابن رشيد السبتى (ت ٦٩٢ هـ) ، وابن البناء المراكشى الذى نبغ فى الرياضيات وخاصة علم الحساب والجبر والمعادلات (ت ٧٢١ هـ) (٥١) ٠

(٤٩) الجزنائى : زهرة الاس ص ٨٣ ٠

(٥٠) الفرديل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى من الفتح العربى حتى اليوم - ترجمة : عبد الرحمن بدوى (بنغازى ١٩٦٩) ص ٣٢٣ ٠

(٥١) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٤٤ ٠

مســاكن الطلبــة :

من مفاخر التعليم فى دولة بنى مرين تخصيصه مساكن للطلبة ، حتى يتحقق لهم الانقطاع للعلم • والتفرغ للتحصيل والدرس • وكان هذا النظام خير مايمكن أن يقدم الى طلاب فيهم الكثير من الغرباء النازحين من مختلف الأقاليم المغربية لطلب العلم •

وكان تأسيس المدارس النظامية بفاس وغيرها من مدن المغرب فى العصر المرينى التطبيق العملى لانتشار المســاكن الملحقة بالمدارس حيثما سارت الحركة المدرســية فى ربوع المغرب • فقد كانت المدارس التى أنشأها سلاطين بنى مرين مساكن للطلاب ، كمــا كانت أماكن للتعليم حيث اعتمدت فى تصميمها المعمارى على قاعة كبيرة للدرس اصطفت على جوانبها غرف الطلبة أو قاعة للنوم فى بعض الأحيان من طابقين يتوسطهما صحن مكشوف ، وقد تضمنت مصلى صغيرا لتؤدى فيه الصلوات • وكانت هذه المدارس تقــدم للطلاب الغرباء غرفة لكل طالب ، فقد كان فى بعض هــذه المدارس مايزيد على المائة غــرفة ، فلقد احتوت المدرسة المصــباحية بفاس على مائة وسبع عشرة غرفة (٥٢) •

وبعد أن تدفق الطلاب كانت الغرفة الواحدة تخصص لطالبين أو حتى لثلاثة من الطلبة ، ولم تكن تضيق بهم (٥٣) •

وكانت مساكن الطلبة هذه جميلة المعمار آنيقة البناء مزخرفة بالنقش العربى مكسوة الجدران بالزليج • تتوافر فيها أسباب الراحة والصحة حتى ينصرف الطالب الى حضور

---

(٥٢) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية • ترجمة محمد مزالى ، والبشير ابن سلامة (تونس ١٩٧٨) جـ ٢ ص ٢٤١ •

(٥٣) روجيه لاتورنو : فاس ص ١٧٩ •

حلقات الدروس والمطالعة بالمكتبة واعداد الدروس بغرفته، ولايتكلف الطالب نظير كل هذا أى شيء مادى (٥٤) .

وروى أنه فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كانت تلك المساكن الطلابية تقدم لنزلائها من الطلبة المؤن والثياب طيلة مدة اقامتهم فيها وكانت الأوقاف الخيرية هى التى تتحمل تلك النفقات .

ولم تكن مساكن الطلبة هذه مقصورة على الطلاب فحسب ، وانما كان يقيم بها أيضا بعض العلماء والأساتذة والمدرسون ، ولم يكن من الضرورى أن يقيم الأستاذ بالمدرسة التى يقوم بالتدريس فيها ، فقد يكون سكنه بمدرسة وتدريسه بأخرى غيرها (٥٥) .

وكان يقوم بالخدمة داخل تلك المدارس ومساكن الطلبة الملحقة بها طائفة من صغار الموظفين والخدمة الذين كانوا يعرفون باسم القومة والفراشين (٥٦) . والتى كانت مهمتهم تنحصر فى خدمة تلك الأماكن وايقاد مصابيحها وتنظيفها (٥٧) .

أما المدة المحددة لسكنى الطلبة فى تلك المساكن الطلابية والتى تشبه الى حد كبير المساكن الجامعية فى آيامنا هذه فقد كانت ست عشرة سنة بينما كانت فى تونس خمس سنوات فقط (٥٨) .

---

(٥٤) عثمان الكعاك : محاضرات فى مراكز الثقافة ص ٥٧ .

(٥٥) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٥٦) المرجع السابق : ص ٢٨٢ .

(٥٧) المقريزى : الخطط جـ ١ قسم ٣ ملاحق ص ١٠٤٦ .

(٥٨) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩٨ .

المكتبات :

يبدو أن ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان فى أواخر عهد الموحدين ، وأن الذى أسس أول مكتبة عمومية بالمغرب هو أبو الحسن الشارى المتوفى سنة ٦٤٩ هـ حيث أوقف بسبتة خزانة مدرسته وهى أول خزانة وقفت بالمغرب (٥٩) · وقد حرص سلاطين بنى مرين على تدعيم النهضة التعليمية فى دولتهم بانشاء المكتبات اللازمة ، والتى تساير تلك النهضة التعليمية فى البلاد ، ولتكون ركائز قوية للحركة الثقافية التى عمت الربوع المغربية فى العصر المرينى · فأول سلاطين بنى مرين يعقوب بن عبد الحق حرص على أن يحصل على مجموعات الكتب الاندلسية من أيدى غاصبيها الأسبان ، وقد وصل من شدة حرصه على ذلك أنه كان يشترط استرداد هذه الكتب فى معاهدات الصلح بينه وبين الأسبان ، ومثال ذلك مافعله مع سانجه (سانشو) ملك أسبانيا المسيحية عندما عقد معه الصلح سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م (٦٠) ففى كتاب الاستقصا للسلاوى : «وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التى بأيدى النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كابن عطية والثعلبى ، ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار ، ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك · فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتحبيسها على المدرسة التى أسسها بها لطلبة العلم (٦١) ·

---

(٥٩) محمد المنونى : العلوم والاداب والفنون ص ٢٧٨ ·

(٦٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ١١١ ·

(٦١) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٣١ ·

ومن المدرسة انتقلت فكرة المكتبة الى المساجد وبعض المؤسسات الأخرى كالربط والخوانق (٦٢) • وأعظمها ماكان بقصر السلطان (٦٣) •

وقد اقتفى أثر السلطان يعقوب بن عبد الحق فى هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده ، فاستكثروا من الكتب ووقفوا عدة خزائن منها لطلبة العلم بجامع القرويين بمدينة فاس ولما أتم ابن خلدون تاريخه أهدى هذه الخزائن نسخة منها ، ولازال من هذه النسخة مجلدان بالجامع المذكور وعلى غلاف أحدهما نص عبارة الوقف (٦٤) • واذا كانت خزائن دور العلم أول مكتبات جامعية فى تاريخ المغرب الا أن فكرة انشاء دار مستقلة للكتب لم تكن معروفة حتى أوائل العصر المرينى وقد تمخضت النهضة التعليمية ، والحركة الثقافية التى شملت كل ربوع دولة بنى مرين عن بعث تلك الفكرة فى عهد السلطان أبى عنان المرينى ، وجاءت تلك المكتبة العامة على نحو ماهو معروف لدينا الآن اذ احتوت هذه المكتبة على كتب شملت كل علوم العصر من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان ، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها (٦٥) •

وقد ألحق أبو عنان بهذه المكتبة خزانة ضخمة للمصاحف، أعد تصميمها بنفسه وأودع فيها عددا كبيرا من المصاحف الشريفة الحسنة الخطوط والمنمقة ، وقد كتب فوق هذه الخزانة مانصه : «الحمد لله أمر بانشاء هذه الخزانة السعيدة

---

(٦٢) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٨٤ •

(٦٣) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط القاهرة ١٩٦٥ م • ص ٦٤ •

(٦٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٨ •

(٦٥) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ •

مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس أيد الله أمره ، وأعز نصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبعمائة رزقنا الله خيرها» (٦٦) • ولم ينحصر انشاء المكتبات العامة على العاصمة فاس وحدها ، بل تعداها الى بعض المدن المغربية الأخرى ، مثل مدينة سبتة والتى كانت لها شهرة خاصة بكثرة الكتب (٦٧) •

وجاء تنظيم تلك المكتبات على نحو ماهو معروف الآن من استخدام أمناء للمكتبات لحفظ الكتب وتنظيمها ، واستقبال روادها ، وتقديم الكتب التى يريدون الاطلاع عليها (٦٨) •

ومما تقدم يمكن أن نقول أن المكتبات بأنواعها المختلفة كانت من المؤسسات العلمية الأساسية التى أسهمت فى تغذية التربية الاسلامية بين أبناء المجتمع المغربى • كما أنه يرجع الى هذه المكتبات الفضل فى صيانة الكثير من تراث الاسلام الفكرى فى ربوع المغرب ، ولازالت مكتبة القرويين بفاس وغيرها فى المدن الأخرى تحوى بين أركانها نفائس غالية من ثروة الاسلام العلمية (٦٩) •

عمارة المؤسسات التعليمية :

عمارة المدرسة :

قام تصميم المدرسة فى المغرب على مستطيل يتوسطه

(٦٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٤٦ •

(٦٧) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ٢١٠ •

(٦٨) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ ، ابن القاضى ص ٤٦ •

(٦٩) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات ص ٢٨٨ •

صحن مكشوف به حوض كبير للماء ، وفى أحد الضلعين القصيرين تقوم قاعة التدريس ، وحول الضلعين الطويلين تقوم مساكن الطلبة ، كما تضمنت مصلى صغيرة لتؤدى فيها الصلوات (٧٠) ٠

وهكذا جاء تصميم المدرسة يختلف اختلافا بينا عن المسجد لاختلاف الغاية التى قام من أجلها كل منهما فقد روعيت فيها الأغراض التعليمية واعتبرت عنصرا أساسيا فى تكوينها المعمارى ، كما جاءت المدرسة المغربية مختلفة اختلافا بينا أيضا عن المدرسة فى المشرق ، فبينما اعتمدت المدرسة فى المغرب على قاعة واحدة للتدريس اعتمدت المدرسة فى المشرق على قاعتين أو أربع قاعات ، والسبب فى ذلك يرجع الى أن أهل المغرب كلهم تقريبا يتبعون مذهب الامام مالك (٧١) ، ولهذا لم تكن هناك حاجة الى قاعات أخرى لتدريس مذاهب أخرى ٠ وتميزت بعض المدارس التى أنشأها المرينيون بعد مدرسة الصفارين باتساعها ، فقد احتوت المدرسة المصباحية ــ كما ذكرنا ــ على مائة وسبع عشرة غرفة وتحتفظ بمظلة جميلة من الخشب المنقوش ، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاها (٧٢) ٠

ويؤكد ابن مرزوق ، وهو شاهد عيان أن مدارس بنى مرين بصفة عامة كانت آية فى فن البناء والعمارة حيث اشتملت عناصر عمارتها على كل ماهو جديد ومتطور سواء كان ذلك خاص بالبناء أو النقش والزخرفة أو الفرش على

(٧٠) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج ٢ ص ٢٤١ ٠

(٧١) الفردبل : الفرق الاسلامية ص ٣٢٢ ٠

(٧٢) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج ٢ ص ٢٤١ ٠

اختلاف أنواعه من الخزف والرخام والخشب المحكم النقش (٧٣) .

وتمثل المدرسة العنانية التى آسست سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م بداية مرحلة انطلاق جديدة فى فن العمارة ، وتعتبر النموذج الصادق للفن المميز للعمارة المرينية (٧٤) الذى اهتم بالنقش على الجبص والخشب ولايترك موضعا فى الجدران أو السقوف ، أو الأبواب ، الا ونقشوه ، كما بالغوا فى زخرفة الأرضيات ، وسفل الحوائط بالزليج (الخزف) المختلف الألوان ، واستخدموا آيضا الرخام بجميع آلوانه ، وأصبحت هذه من مميزات فن العمارة المرينية ، والذى أضفى على منشآتها البهاء والعظمة فى أرق قالب (٧٥) .

وهذه المدرسة العنانية التى استغرق بناؤها سبع سنين كانت ذات باب خشبى مصفح بالبرونز المتقن الصنع ، ويؤدى مصراعاه الى مدخل ذى درجات حافاتها من الجزع والزليج ، وعلى جوانبه دكات من الزليج المتعدد الألوان ، أما صحن المدرسة الفسيح فمغطى بالرخام الأبيض والوردى وبالجزع وقد كسيت جوانبه بالفسيفساء وفتحت نوافذ غرفة وسط زخارف الجص ، وفى آعلى الصحن تحتضن الدعامات مداميك العقود الكبيرة الخشبية التى تحمل الافريز الأعلى المزخرف بالآيات القرآنية ، والمحمى بمظلة فى غاية الروعة وتضىء كوى بلوريه المصلى المكون من بلاطتين تميزنا بدقة أطرافهما الهندسية المتداخلة على آكمل وجه ، كما كانت له ميضاه رائعة الصورة (٧٦) .

---

(٧٣) ابن مرزوق : المسند ص ٢٧٣ .

(٧٤) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب القاهرة ١٩٦١م ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧٥) الجزنائى : ص ٧٠ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ص ٣٠ .

(٧٦) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج ٢ ص ٢٤١ .

وقد تميزت تلك المدرسة العنانية دون غيرها من المدارس بالقاعات الكبيرة بحيث تكون قاعات للمحاضرات فقط ،ومن ثم فقد اختط لها من أول الأمر آلا تكون أماكن اقامة للطلبة فحسب ، بل معهدا خاصا بالتعليم ، كما تميزت تلك المدرسة أيضا بمنارتها (مئذنتها) ومنبرها مما يثبت آن صلاة الجمعة كانت تقام فيها (٧٧) • ويبدو آن هذا النمط الجديد فى بناء المدرسة اتخذ نقلا عن مدارس الشرق فى ذلك الوقت حيث كانت المدرسة مكان عبادة ودرس ، ولم يميزها عن المسجد سوى مساكن الطلبة التى كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون (٧٨) •

كما كانت المدرسة العنانية آول مدرسة فى المغرب تقام بها منجانة (ساعة) لمعرفة الوقت قام بصناعتها آبو الحسن على بن أحمد التلمسانى سنة (٧٥٨ هـ/١٣٥٦ م) (٧٩) •

عمارة المسجد :

يعد المسجد الجامع بقرطبة (٨٠) المنبع الرئيسى الذى ارتوت منه فنون الاسلام فى الأندلس والمغرب عصوره المختلفة ، ولهذا اصبح هذا الجامع المثل الأعلى لمساجد الأندلس والمغرب (٨١) •

---

(٧٧) روجيه لاتورنو : فاس ص ٤٤ •

(٧٨) د• محمد محمد أمين على : تاريخ الاوقاف فى مصر فى عصر سلاطين المماليك • رسالة دكتوراه • آداب القاهرة ١٩٧٢ ، ج ١ ص ٣٠٣ •

(٧٩) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٣ ص ٢٢٥ ، زهرة الآس الجزنائى ص ٤٠ •

(٨٠) بناه الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى سنة ١٦٩ هـ ، واتخذ صورته النهائية بزيادة المنصور بن عامر فى سنة ٣٧٧ هـ ، ولقد طبق عرفاء البناء بجامع قرطبة النظام التخطيطى للجامع الأقصى الذى أعاد الوليد ابن عبد الملك بناءه فى سنة ٨٧ هـ (د • السيد عبد العزيز سالم : العمارة الاسلامية فى الأندلس وتطورها مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثامن ـ العدد الأول ـ ابريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٧ ص ٩٢ ، ٩٣ •

(٨١) د • السيد عبد العزيز سالم : قرطبة • ج ١ ص ٩١ •

ولم يختلف المسجد الجامع بقرطبة عن المساجد الجامعة الأخرى فى العالم الاسلامى التى تميزت عن المساجد الخاصة او غير الجامعة بعناصره المعمارية الرئيسية التى التزم بها المسلمون (٨٢) ، وهى : بيت الصلاة (٨٣) الصحن (٨٤) ، المجنبات (٨٥) • بالاضافة الى عناصر أخرى كالمئذنة التى لم يتقيد المسلمون فى تحديد مكانها او اعدادها فى المسجد الواحد • كذلك وجد المنبر الذى يصنع من الخشب أو الرخام، وكان يقام بجانب المحراب ليقف عليه الامام وهو يخطب حتى يراه ويسمعه المصلون بسهولة ، كما وجدت أيضا المقصورة ، وهى حاجز خشبى عادة يحدد جزءا من الصفوف الأولى فى بيت الصلاة وكانت تخصص للخليفة وحاشيته وكبار رجال الدولة •كذلك ظهر فى المسجد الجامع « كرسى السورة » وهو من الأثاث المستحدث فيه ، وكان يتخذ منه المقرىء مكانا يجلس فيه لتلاوة القرآن الكريم واحيانا آخرى كان يقوم

---

(٨٢) محمد توفيق بلبع : المسجد فى الاسلام ص ٣٤٠ •

(٨٣) بيت الصلاة : هو المكان المسقوف الذى يصطف فيه المصلون خلف الامام لأداء الفريضة ، ويعتبر هذا « البيت » من أهم اجزاء المسجد الجامع ان لم يكن اهمها جميعا ، ويرتفع سقفه عادة فوق العقود التى تحملها الاعمدة أو الدعائم التى خطت فى صفوف متوازية ومنتظمة تحصر ما بينها ما يعرف « بالاساكيب » وهى الممرات الموازية لجدار القبلة الذى يتوسطه المحراوب فى الاساكيب والبلاطات ، وبين كل أربعة أعمدة أو دعامات مساحات مربعة الشكل تقريبا باسم « اسطوانات » كانت تعقد فيها حلقات الدرس • (محمد توفيق بلبع) : المسجد فى الاسلام ، ص ٣٤٠ •

(٨٤) الصحن : وهو الجزء غير المسقوف الذى يلى بيت الصلاة وقد ترك دون سقف ليساعد على وصول الضوء فى بيت الصلاة خاصة اذا كان هذا « البيت » كبيرا وعميقا ، وتتعدد فيه الاساكيب كما انه يتوسط المساحة التى يقام عليها المسجد الجامع فى معظم الاحيان (محمد توفيق بلبع) المسجد فى الاسلام : ص ٣٤٠ •

(٨٥) المجنبات : وهى الاروقة المسقوفة التى تحيط بالصحن من جهاته الثلاث الأخرى غير بيت الصلاة ، وكانت بدورها تتكون من رواق واحد أو أكثر • واذا كان بيت الصلاة هو المكان الأصلى المخصص لصفوف المصلين كما يدل عليه تسميته فان الصحن وأروقة المجنبات كانت بدورها تستخدم فى كثير من الاحيان لنفس الغرض لا سيما فى حالة كثرة عدد المصلين (محمد توفيق بلبع) : المسجد فى الاسلام ص ٣٤٠ ، ٣٤١ •

فيه « المبلغ » الذى يردد بعد الامام حتى يسمعه المصلون جميعا (٨٦) ٠

ويعد المسجد الجامع فى تازة الذى أنشىء سنة (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م) من أصدق الأمثلة للفن المعمارى فى عهد بن مرين والذى يتميز بقبته ذات المقرنصات الرائعة والزخرفة التى تتسم برقة الأشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمتربصات والزليجيات (٨٧) كما يعد مسجد العباد بالقرب من قبر الولى الصالح أبى مدين شعيب متحفا للعمارة الدينية المرينية ، حيث زين الزليج ، ومصلاه تتكون من خمس بلاطات ، وثلاثة صفوف ، وجدرانه وسقوفة ذات تربيعات مزخرفة بطلاء من الجص المنقوش ، ومحرابه عبارة عن فجوة ذات زوايا منظمة ، قوسها محمول على اسطوانتين لكل منهما تاج أنيق مسبوق بقبة مقرنصة ، ويحف بصحن المسجد رواق ذو دعائم منشورية الشكل ، أما المئذنة فهى بالآجر المشبك والخزف (٨٨) ٠

ويصف ابن مرزوق ـ وهو شاهد عيان ـ هذا المسجد الذى بنى فى عهد السلطان أبى الحسن (٨٩) فيقول : اشتمل (مسجد العباد) على الوضع الغريب وهو أن سقفه كله أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة على وجهة تخالف الجهة الأخرى فى الوضع قد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة فلا يختلج فى النفس شكل ولا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقرشة وهى كلها مبنية أحكار بالأجر

(٨٦) محمد توفيق بلبع : المسجد فى الاسلام ، ص ٣٤١ ٠

(٨٧) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر ص ٥٨ ٠

(٨٨) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية جـ ٢ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ٠

(٨٩) ابن مرزوق : المسند ص ٢٧٠ ٠

والفضة ، واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل العاج والابنوس المذهب (٩٠) • أما مسجد سيدى الحلوى الذى بناه السلطان أبو عنان المرينى فقد احتوى على مصلى تشتمل على ثمانية أعمدة ، وعلى الواجهات الأربع لمئذنته أشكال من الفخار المموه بالمينا (٩١) •

وكما اهتم سلاطين بنى مرين بانشاء المساجد الجديدة ، اهتموا أيضا بترميم المساجد القديمة واصلاحها وتزويدها باحتياجاتها • ففى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق زود مسجد القرويين ببيلة بباب الحفاة طولها سبعة وعشرون شبرا ، وهى مغشاة بالرصاص ومتصلة بخارج الباب وفوق هذا الباب اشباك من الخشب فتحت فيه أربع خوخات • وارتفاع هذا الباب ستة عشر شبرا ، ثم فرش أمام هذا الباب الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى العبر ناظر الاحباس (الاوقاف) بالرخام الأبيض والأكحل ، ويتدفق الماء من الجهة المعدة له نحو هذه البيلة وينصب على رخام أبيض وأزرق وأحمر يغسل فيه الحفاه أرجلهم ثم يغور الماء بعد ذلك فى قناة معدة لذلك (٩٢) •

كما زود أبو عبد الله ابى الصبر ناظر الاحباس سنة ٦٨٨ هـ/١٢٨٩ م مسجد القرويين بعنزة فيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب واتقان الالصاق ودقة الخرط والنقش مايقضى بالعجب (٩٣) •

وفى سنة ٦٩٢ هـ/١٢٩٢ م قام والى فاس أبو الحسن

(٩٠) ابن مرزوق : المسند ص ٢٧٠ ، ٢٧١ •

(٩١) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية جـ ٢ ص ٢٤٠ •

(٩٢) الجزنائى : زهرة الأس ص ٦٣ ، ٦٤ •

(٩٣) المصدر السابق ص ٦٥ •

على بن محمد الحدودى ببناء الباب المدرج بمسجد الأندلس بالعودة الأندلسية بفاس البالى على غرار الباب المدرج بمسجد القرويين ، ووضـــع فى أسفل الباب نقيرا من الخشب ملس بالرصاص ، وجلب اليه الماء من عيون ابن الصاوى ليدخل عليه الحفاة ، وعمل عليه شباكا من خشب الأرز بباب يدخل اليه من أراد الصعود الى أدراجه . ووضع فى نهاية الادراج بابا عظيما وضع عن يمين الخارج من أسفل الادراج سقاية منمقة بالجص والحجر المنجور ، وأنواع الأصـــباغ كل ذلك ذلك بصناعة محكمة (٩٤) ٠

وفى ســـنة ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م أمر الســـلطان يوســـف ابن يعقوب المرينى باصلاح مسجد الأندلس وتجديده وجلب الماء اليه من نهر مصمودة وفى عهد حفيده ابى ثابت عامر المرينى أعاد جلب الماء الى المسجد من العين الموجودة خارج باب الحـــديد كما كان عليه فى أيام الناصر الموحـــدى وقد تولى الاشراف على عملية الاصلاح أبو العباس أحمد الجيانى (٩٥)٠

الموارد المالية :

كان للتعليم فى عصر بنى مرين عدة موارد يستمد منها المال اللازم الذى يغطى نفقات تلك النهضة التعليمية التى شملت ربوع المغرب ، ويمكن حصر مصادر الأموال الخاصة بالتعليم فى عصر بنى مرين فى أمرين اساسيين : أولهما : الأوقاف ، وثانيهما : الهبات والاعانات ٠ والى جانب ذلك فقد كانت أموال الجزية التى تحصل من اليهود توجه احيانا للانفاق منها على المؤسسات التعليمية (٩٦) ٠

(٩٤) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٦ ٠
(٩٥) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ١١٠ ٠
(٩٦) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ١٦٢ ، ١٦٣ ٠

الأوقاف :

وتسمى أيضا الاحباس ، وهي أهم موارد التعليم في ذلك العصر على الاطلاق ، وأكثرها دخلا وادرارا • واليها يرجع الفضل في بقائه واستمراره وانتظام الحياة العلمية والدراسية في معاهد التعليم بالمغرب • وقد تبلور العمل بنظام الأوقاف كنتيجة طبيعة للنهضة التعليمية والثقافية والاجتماعية التي شهدتها بلاد المغرب على يد سلاطين بني مرين للانفاق على المدارس والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المتعددة التي أقاموها في دولتهم فقد بنى أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني أول سلاطين بني مرين المدارس ورتب فيها الطلبة ، وأجرى لهم المرتبات في كل شهر ، وأقام المساجد ، وأنشأ المستشفيات ، وأجرى عليها النفقات ، وخصص لها الأطباء ، وبنى الزوايا في الخلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لاطعام عابري السبيل وذوي الحاجات والأنفاق على كل هذه المؤسسات الهامة (٩٧) •

وسار سلاطين بني مرين من بعد السلطان ابي يوسف يعقوب على نفس المنوال بخطى حثيثة حتى اعتلى السلطان ابو الحسن عرش دولة بني مرين فأنشأ في كل بلد من بلاد المغرب مدرسة ، وأقام المؤسسات الاجتماعية في تازا ، ومكناس ، وسلا ، وطنجة ، وسبتة وآنفا (الدار البيضاء حاليا) وأزمور ، وآسفي ، واغمات ، ومراكش ، والقصر الكبير وتلمسان (٩٨) •

ولم تكن أية مدينة من المدن المغربية لتخلو من عائلات خصصت قسطا من أملاكها للضمان الاجتماعي ، وهي الأوقاف

---

(٩٧) مجهول : الذخيرة السنية ص ١٠٠ •

(٩٨) ابن مرزوق : المسند ص ٣٥ •

المخصصة للخبز الذى كان يوزع يوميا وآسبوعيا حسب كمية الريع لتلك الأوقاف • وهـذا علاوة على الأوقاف الخاصة بالمساجد والمستشفيات والمدارس ، والتى كان يتعيش منها عـدد كبير من المستخدمين الى جـانب رواتب العلمـاء والطلبة (٩٩) •

كما كانت هناك اوقاف من نوع خاص كالتى تصرف على الزوجين الفقيرين مايوائهما مجانا فى بيت أبان الزفاف ، وكالتى تنفق فى تجهيز العروس الفقيرة ، وأوقاف الأوانى المكسرة ، وتعهد تغذية الحيوانات والطيور ، وذلك بالاضافة الى تأسيس الأسوار والقناطر والقنوات والسهر عليها وهكذا تتسم الأوقاف فى عصر بنى مرين بأهمية كبرى نظرا للدور الثقـافى والاجتماعى الهام والذى حملت عبئه الأوقاف ، ومازالت المغرب تحتفظ بصكوك تلك الأوقاف العديدة الى يومنا هذا ، والتى تحتاج الى دراسة خاصة بها (١٠٠) •

الهبات والاعانات :

وتتصـدر هذا المورد الهام لأهل العلم عطاءات البيت المرينى الحاكم حيث شجع سلاطين بنى مرين وآمراؤهم أهل العلم فى دولتهم ، واجزلوا لهم العطـاء فهناك مثلا أعطى السلطان يعقوب بن عبد الحق الشاعر عبد العزيز الملزوزى ألف دينار وخلعة على قصيدة نظمها ، واستعرض فيها سيرة السلطان ، وفضله على الاسلام ، كما اعطى السلطان يعقوب للفقيه ابو زيد الفاس مائتى دينار لانشاده تلك القصيدة فى مجلسـه يوم عين الفطر (١٠١) كما تبرع السلطان يوسف

(٩٩) عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة ص ٧٤ •
(١٠٠) المرجع السابق ص ٧٦ •
(١٠١) ابن أبى زدع : الانيس المطرب ص ٢٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ج ٣ ص ٦٤

ابن يعقوب المريني بخلخالين من الذهب زنتهما خمسمائة دينار من الذهب للمساهمة فى اعادة بناء الحائط الجوفى لمسجد القرويين الذى انتهى البناء فيه سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م (١٠٢) كما انفق الامير ابو الحسن المرينى قبل أن يمتلى عرش المغرب ما يزيد على مائة الف دينار لانشاء مدرسة الصهريج . هذا بخلاف ما حبسه عليها من رباع كثيرة (١٠٣) .

كما كانت مكافآت أبو الحسن نفسه بعد آن اعتلى العرش للعلماء فى غاية السخاء تشجيعا لهم على مواصلة العلم ، ومن الأمثلة الكثيرة تلك المكافأة التى حصل عليها الفقيه أبو عبد الله بن أبى زكريا العزفى حينما اهدى الى السلطان ابى الحسن كتابا ألفه فى ذم الخمر وبيان عيوبها حيث آمر السلطان أن يوضع الكتاب ـ وكان سفرا كبيرا ـ فى كفة ، والدراهم فى الكفة الأخرى (١٠٤) . وآيضا تلك المكافأة التى حصل عليها آبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن السبيل التعاليمى حينما اهدى الى السلطان ابى الحسن اسطرلابا صنعه بنفسه فأعطاه السلطان مثل وزن الاسطرلاب دنانير من الذهب (١٠٥) .

ومن الأمثلة التى توضح استرخاص كل نفيس فى سبيل التعليم ما فعله السلطان آبو عنان المرينى عندما زار المدرسة العنانية . عند اتمام بنائها ، وقام المهندس الذى تولى عملية انشاء المدرسة يعرض الملف الخاص بتكليف البناء حيث القى

---

(١٠٢) الجزنائى : زهرة الأس ص ٢٨٠ .

(١٠٣) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ٢٨٠ .

(١٠٤) ابن مرزوق : المسند ص ٢٠٥ .

(١٠٥) المصدر السابق : ص ٢٠٥ .

(١٠٦) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ٢٢٥ .

ابو عنان بهذا الملف فى الوادى الذى يجلب الماء للمدرسة ثم قال (١٠٦) ٠

ليس لما قرت العين ثمن   لابأس بالغالى اذا قيل حسن

كما يروى أنه كان من عادة السلطان ابى عنان اذا كان فى عاصمة ملكه أن ينظم مسابقات فى الشعر وخاصة فى مناسبة المولد النبوى الشريف فكان المنشد يقف على صفة مرتفعة حتى اذا ما انتهى واعلن المحكمون من أصحاب الكفاءات حكمهم على ما قال الشاعر ٠ كان السلطان يمنح الشاعر المبرز مائة قطعة من الذهب وفرسا وجارية ، ويلقى عليه الثوب الذى يرتديه ، وكان يمنح كلا من الشعراء الباقين خمسين قطعة من الذهب بحيث أن الجميع ينالهم من احسانه (١٠٧) ٠

وطبيعى ألا تنحصر الهبات والاعانات والصدقات على البيت المرينى الحاكم بل كان هناك الكثير من أهل الخير المحبين للعلم وأهله الذين كانوا يجودون بأموالهم تشجيعا وعونا لأهل العلم على مطالب الحياة ٠ كما كان بعض المدرسين يأخذون أجورا من طلبتهم على تعليمهم ، وكان هذا الأجر يحدد بالاتفاق بين المدرس والطالب (١٠٨) ٠ وكثيرا ماكانت الحكومة تنفق أموال الجزية على التعليم وخاصة التعليم الطبى فى المستشفيات (١٠٩) ٠

---

(١٠٧) روجية لاتورنو :فاس ص ١٨٢ ٠

(١٠٨) محمد عبد الرحيم غنيمة : الجامعات الاسلامية ص ٢٤٠ ٠

(١٠٩) مجهول : الذخيرة السنية ص ١٠٠ ٠

الفصل الثانى

العلوم النقلية والعقلية

أولا ـ العلوم النقلية :

انقسمت العلوم فى المغرب كما هو الحال فى جميع أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى الى صنفين : الصنف الأول منها أطلق عليه اسم : العلوم النقلية أو العلوم الشرعية (١) ، والصنف الثانى أطلق عليه اسم : العلوم العقلية أو الحكمية (٢) ٠

والعلوم النقلية أو الشرعية هى تلك العلوم التى يرجع الأصل فيها الى الشرعيات من الكتاب والسنة ، والتى هى مشروعة لنا من الله ورسوله ، ومايستتبعها من علوم لازمة لتمام الافادة منها (٣) ٠

وقد اشتملت العلوم النقلية أو الشرعية على :

علم التفسير ، علم القراءات ، رسم المصحف ، علوم القرآن ، علوم الحديث ، علم أصول الفقه ، علوم الفقه (ويتفرع عنه علم الفرائض) ، علم الكلام ، علوم اللسان العربى ، علم التصوف ، علم التاريخ ، علم تعبير الرؤيا (٤) ٠

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١ ٠

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٠ ٠

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠١ ٠

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠١ ٠

التفسير :

هو علم يعرف به نزول الآيات ، وشئونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها • ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وآمثالها ، وغيرها (٥) •

وقد سار علماء المسلمين فى آول الأمر فى اتجاه التفسير بالمأثور ، وهو الاعتماد فى التفسير على ما آثر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته الكرام رضى الله تعالى عنهم • وبعد ذلك ظهر اتجاه آخر فى التفسير ، وهو التفسير بالرأى ، فمنهم من أصاب ، ومنهم من لم يوفق (٦) •

ومدرسة التفسير بالمأثور (٧) هى المدرسة التى سادت فى الاندلس وان لم يخل الأمر من وجود بعض بذور مدرسة التفسير بالرأى (٨) •

وأشهر المفسرين الذين ظهروا فى الاندلس هو أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م (٩) •

---

(٥) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق : د• لطفى عبد البديع • القاهرة ١٩٦٣ م ص ٣٣ •

(٦) عبد الوهاب عبد المجيد غزلان : البيان فى مباحث علوم القرآن • القاهرة ص ٣٥•

(٧) ظهرت مدرستان من مدارس التفسير فى الاسلام ، الأولى فيهما هى مدرسة التفسير بالمأثور والتى تعتمد على التفكير النقلى الذى يستمد أصوله مما أثر عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته الكرام رضى الله عنهم ، والثانية هى مدرسة التفسير بالرأى والتى يعتمد على التفكير العقلى أو الفلسفى الذى يستمد أصوله من الفكر العقلى المتحرر • عبد الوهاب عبد المجيد غزلان : البيان فى مباحث علوم القرآن ص ٣٥ ، د• محمد عبد الحميدعيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ص ٢٨٤ •

(٨) د• محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٢٨٤ •

(٩) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٦٢ •

وأبو محمد مكى بن أبى طالب ت ٤٣٧ هـ/١٠٤٥ م الذى كتب تفسيره المسمى (الهداية) وهو من عشرة آسفار ويعرف أيضا باسم تفسير القرطبى (١٠) ٠

وقد عرف المغرب على عهد دولة المرابطين بعض النشاط المتعلق بدراسة تفسير القرآن الكريم ٠ حيث نهض بأعباء هذه الدراسة رجال الفكر والمعرفة الأندلسيون الذين انتقلوا الى المغرب وهم يحملون معهم كثيرا من المعارف والعلوم لاسيما الدينية (١١) ٠

ولما كان المرابطون متمسكين بالاسلام على مذهب الامام مالك فقد نهج فقهاؤهم وعلماؤهم منهج التفسير الحرفى للقرآن الكريم والحديث الشريف ورفضوا الأخذ بتأويل المتشابه من الاى والحديث لأن الامام مالك عندما سئل عن تفسير : «الرحمن على العرش استوى» ٠ قال : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (١٢) ٠

أما كتب التفسير التى اعتمدت عليها الدراسات المذكورة فى المغرب فى العهد المرابطى فهى بعض كتب التفسير التى صنفها العلماء الاندلسيون المالكيون مثل : كتاب التفسير الذى صنفه أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م بالأندلس والذى قيل فيه انه لم يؤلف فى الاسلام

---

(١٠) المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ص ١٧١ ٠

(١١) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٢٦٣ ٠

(١١) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية والعلمية بمدينة مراكش منذ تأسيسها حتى سقوط الدولة الموحدية ، وأثرها على المراكز الثقافية الاسلامية جنوب الصحراء ٠ رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٨٠ ٠

تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره (١٣) .

ومن كتب التفسير الأخرى التى ذاع صيتها فى بلاد الاندلس والمغرب وفى المشرق وكان صاحبها من الاندلسيين الذين عاصروا الدولة المرابطية كتاب التفسير لابى محمد ابن عطيه الغرناطى ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م والذى قال عنه الضبى «ألف فى التفسير كتاباً ضخما آربى فيه على كل متقدم» (١٤) .

ومن العلماء الاندلسيين ابن الخصال الغافقى الذى سكن مراكش مايقرب من ثلاثين عاما فى عهد الدولة المرابطية واشتغل بعلم التفسير فيها والذى كان من آنبه علماء البلاط المرابطى فى عهد على بن يوسف بن تاشفين ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م (١٥) .

وقد تطورت الدراسات الخاصة بعلم التفسير على عهد الدولة الموحدية تطورا كبيرا قياسا الى ماكانت عليه فى عهد أسلافهم المرابطين وذلك لكثرة الشخصيات العلمية التى اشتغلت بهذا العلم والتى ذكرتها كتب التراجم علما بأن أغلب الشخصيات المذكورة تم استدعاؤها من بلاد الاندلس من قبل الحكام الموحدين لأغراض علمية (١٦) .

وقد نهج الموحدون نهجا فى دراسة علم التفسير يختلف

---

(١٣) ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ ائمة الأندلس ص ١١٦ .

(١٤) الضبى بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس (القاهرة سنة ١٩٦٧) ص ٣٨٩ .

(١٥) المراكشى : المعجب ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(١٦) الغبرينى : عنوان الدراية ، تحقيق : عادل نويهض (بيروت ١٩٦٩) ص ٢٠٣ ، ٢٩٧ .

عن المنهج الذى سار عليه المرابطــون المالكيون حيث أنهم كانوا يؤولون المتشابه من الآيات والأحاديث (١٧) ٠

اضافة الى ذلك أن أحد علماء التفسير وهو أبو القاسم السهيلى الذى كان مكرما عند الموحدين (١٨) صنف كتابا فى التفسير سماه التعريف والاعــلام فيما ابهم فى القرآن من أسماء الاعلام ، وعند تفســيره لبعض الآيات أولهــا تأويلا شيعيا حيث قال : فقوله تعالى انما أنت منــذر ولكل قوم هاد ٠ وروى ابن الاعرابى عن طريق سعيد ٠٠٠ قال لما نزلت منذر ولكل قوم هاد قال رسول الله (ص) أنا المنذر وانت ياعلى هاد بك ياعلى اهتدى المهتدون (١٩) ٠

ومن أشهر علماء التفسير الأندلسيين فى عهد الموحدين ، أبو الحســن على بن محمد الغرناطى الذى سكن فى الجانب الشرقى من مدينة مراكش وتوفى بها سنة ٥٧٧ هـ/١١٨١ م وكان من العلماء الذين تخصصوا بعلم التفسير فقط الى درجة أن استاذه ابا بكر بن العربى المعافرى كان يتوقع له هذه المنزلة العلمية الرفيعة بالعلم المذكور اذ أقبل عليه المراكشيون لغرض دراسة علم التفسير فكان «يفسر لهم القرآن من أوله الى آخره فنفع الله به خلقا كثيرا » (٢٠)

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب السهيلى الذى استدعاه المنصور الموحدى الى عاصمته مراكش لكى ينتفع

---

(١٧) ابن تومرت : أعز ما يطلب (الجزائر ١٩٠٤) ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤ ٠

(١٨) عبد العباس ابراهيم الحمادى : الحركة الفكرية ص ٢٦٦ ٠

(١٩) أبو القاسم السهيلى : التعريف والاعلام فيما أبهم فى القرآن من اسماء الاعلام (القاهرة ١٩٣٨) ص ٥٧ ، ١٠١ ٠

(٢٠) ابن الموقت : السعادة الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ٠ (الدار البيضاء) ص ٨٤ ٠

سكان العاصمه بما لديه من علم وتصدر فيها للتدريس الى أن توفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م (٢١) ٠

وعرف عن علماء التفسير فى عصر بنى مرين بأنهم كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على الحديث ، خاصة النوع النقلى منه ، وهو الذى يعتمد على المأثور (٢٢) ٠ وبهذا يكون علماء التفسير فى عصر بنى مرين قد نهجوا نهجا مخالفا فى دراسة التفسير عن النهج الذى سار عليه علماء التفسير فى عصر الموحدين الذين كانوا يؤولون المتشابه من الآيات والأحاديث (٢٣) ٠

وطبيعى أن تنشط حركة التفسير فى عصر بنى مرين لما عرف عن سلاطين بنى مرين من الاهتمام البالغ بالقرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الاسلامى (٢٤) ٠

لذلك برز فى علم التفسير العديد من العلماء نذكر منهم محمد بن محمد بن على المعروف بابن البقال المتوفى سنة ٧٢٥ هـ/١٣٢٤ م (٢٥) ، ومحمد بن على العابد الانصارى المتوفى سنة ٧٦٢ هـ/١٣٦٢ م والذى من أهم أعماله فى هذا المجال اختصاره لتفسير الزمخشرى وتجريده له من مسائل الاعتزال (٢٦) ٠ ومن هؤلاء المفسرين ابن البناء العددى ، الذى كانت له عدة موضوعات فى التفسير وحاشية على الكشاف

---

(٢١) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٢٦٨ ٠

(٢٢) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٧٧٥ ٠

(٢٣) ابن تومرت : أعز ما يطلب ٠ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤ ٠

(٢٤) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ١٠١ ٠

(٢٥) الكتانى سلوة الأنفاس جـ ٢ ١٥٨ ، ١٥٩ ٠

(٢٦) ابن القاضى : جذوة الأقتباس ص ١٤٤ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربى (بيروت ١٩٦١) ص ١٩٤ ٠

للزمخشرى (٢٧) • ومحمد بن أبى البركات السكاك المتوفى سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ (٢٨) ، وأيضا محمد بن أبى غالب ابن أحمد السكاك المتوفى سنة ٨١٨ هـ/١٤١٥ م (٢٩) •

ولم تنحصر حركة التفسير على نشاط علماء المغرب وحدهم ، لكنها شملت هؤلاء الوافدين على دولة بنى مرين من علماء الدول الأخرى • أمثال محمد الهادى بن أبى قاسم ابن نفيس الشريف ، والذى خرج السلطان أو سعيد عثمان المرينى للقائه والترحيب به حين قدومه من العراق الى فاس (٣٠) • ومنهم أيضا الخطيب بن مرزوق الذى رحل من الأندلس وكان له نشاط ملحوظ فى التفسير أثناء اقامته بالمغرب • كما شملت حركة التفسير تداول الكتب الواردة من خارج المغرب ، والتى احتل بعضها مكانا مرموقا بين الخاصة والعامة ، مثل التأليف الخاص بشرف الدين الطيبى من أهل عراق العجم ، والذى تناولفيه كتاب الزمخشرى ، وتتبع فيه الفاظه وتعرض لمذاهبه فى الاعتزال بالادلة التى تبطلها ، وتوضح أن البلاغة انما تكون فى الآية على ما يراه أهل السنة لاعلى ما يراه المعتزلة (٣١) •

علم القراءات :

هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، وموضوعه القرآن من حيث أنه كيف يقرأ (٣٢) • ويعتبر هذا العلم من أول العلوم التى اهتم بها المسلمون ، غير أنهم

---

(٢٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٤ •
(٢٨) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٢ ص ١٤٦ •
(٢٩) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٨ •
(٣٠) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ١٧ •
(٣١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٥ •
(٣٢) المصدر السابق : ص ٤٠٢ •

اختلفوا فى عدد القراءات ، فبعضهم جعلها سبع قراءات وبعضهم جعلها آكثر غير آن الراجح هو سبع قراءات (٣٣) ٠

وقد كان علم القراءات (٣٤) فى الأندلس صورة مطابقة للقراءات (٣٥) فى الشرق ولكن بحلول القرن الخامس الهجرى أصبح لهذا العلم فى الأندلس شخصيته المتميزة على يد عدد من علماء الأندلس وهذا ما يمكن آن نفهمه من كلام ابن خلدون حيث يقول : « ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات ورواياتها ، الى أن كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم ، وصارت صناعة مخصوصة وعلما مفردا ، وتناقله الناس بالشرق والأندلس ، جيلا بعد جيل ، الى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالى العامريين ، وكان معتنيا بهذا الفن من فنون القرآن ، لما آخذه به مولاه المنصور بن أبى عامر ، واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته ٠ فكان سهمه فى ذلك وافرا ، واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية فنفقت بها سوق القراءة لما كان هو من آئمتها ، وبما كان له من العناية بسائر العلوم وبالقراءات خصوصا ، فظهر لعهده آبو عمرو الدانى

---

(٣٣) د٠ عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٨) ص ١٦٩ ، ١٧٠ ٠ هذه الطرق فى القراءة نسبت الى من اشتهر برواياتها ، وهؤلاء القراء السبعة الذين نسبت قراءاتهم لاسمائهم هم : نافع من أهل المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبو عمر من البصرة ، وحمزة والكسائى من الكوفة ، وقد أضيفت ثلاث قراءات منسوبة لكل من حفص وأبى جعفر ويعقوب فصارت القراءات عشرا ، وما زاد على ذلك اعتبر شاذا ٠ د٠ عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص ١١٨ ٠

(٣٤) هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، وموضوعه القرآن من حيث أنه كيف يقرأ ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٥ ٠

(٣٥) هذه الطرق فى القراءة نسبت الى من اشتهر برواياتها الذين نسبت قراءاتهم لاسمائهم وكان على رأس هؤلاء سبعة قراء وهم : نافع من أهل المدينة المنورة وابن كثير من مكة المكرمة ، وابن عامر من الشام ، وابو عمر من البصرة ، وحمزة والكسائى من الكوفة ، وقد اضيفت ثلاث قراءا منسوبة لكل من حفص وأبى جعفر ويعقوب فصارت القراءات عشرا وما زاد على ذلك اعتبر شاذا د٠ على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص ١١٨ ٠

وبلغ الغاية فيها ، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له • ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والأجيال ، أبو القاسم بن فيرة من أهل شاطبية ، فعمد الى تهذيب مادونه أبوعمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله فى قصيدة لخص فيها أسماء القراء بحروف (آ ب ج د) ، ترتيبا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها ، فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا ، وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين • وجرى العمل على ذلك فى أمصار المغرب والأندلس » (٣٦) •

ولقد ألف الأندلسيون فى هذا العلم كثيرا ونبغ منهم عدد كبير حتى أننا نجد أسماءهم تلمع فى كثير من مناطق العالم الاسلامى ، وتكفى الاشارة الى أن كتاب معرفة القراء الكبار ، الذى تناول أكبر طبقات القراء ضم من الأندلسيين ١٢٧ قارئا مشهورا (٣٧) •

وتدين العاصمة مراكش الى رجال العلم الأندلسيين الذين بذروا فيها البذرة الأولى الخاصة بالاشتغال بعلم القراءات أبان الحكم المرابطى ، بل أنهم ظلوا يشكلون العمود الفقرى للنهوض بهذا اللون من الدراسات الشرعية حتى فى العهد الموحدى ، ويظهر ذلك جليا من تتبع تراجم الشخصيات العلمية التى تصدت لتدريس علم القراءات بمراكش فمن الذين بذلوا جهودا علمية لتدريس العلم المذكور وتطويره من الأندلسيين عندما كانت تحت المظلة المرابطية محمد ابن أغلب بن أبى الدوس الذى كان يمارس مهنة التعليم

---

(٣٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ •

(٣٧) د• محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ص ٢٨٦ ــ ٢٩٢ •

والاقـرار داخـل مراكش وتوفى بهـا سـنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م (٣٨) ٠

ومنهم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن الصقر الانصارى الخزرجى ، الذى كان مقرئا ومجودا مع المامه بعلوم أخرى وقد ثولى أحكام الصلاة وامامة مسجد على بن يوسف بن تاشفين وعاصر الدولتين المرابطيه والموحدية حيث توفى بمراكش ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م (٣٩) ٠

وقد شـهد علم القراءات والتجويد فى عهد الموحـدين تطورا كبيرا لم يشهد له مثيل من قبل ويمكن أن يعزى ذلك الى عدة أسباب منها أن أغلب اولئك الحكام كانوا من المهتمين بدراسـة هذا العـلم حتى عـدوا من اكـابر الحفـاظ والخطاطين (٤٠) ٠

كما استدعى الموحدون فطـاحل المقرئين فى الأندلس مثل محمـد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس بن محمد بن عبد الله العبدرى الذى استوطن مراكش وانتصب للتدريس فيها (٤١) وقد ذكر بن عبد الملك المراكشى أن أغلب ابناء مدينة مراكش التى توفى بها سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١ م انتفعوا بعلمه (٤٢) ٠

ومحمد بن عمر الشواشى الشلبى وهناك كثير من القراء

---

(٣٨) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب تحقيق : د٠ شوقى ضيف (القـاهرة ١٩٥٥) ج ٢ ص ١٨٠ ٠

(٣٩) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ، تحقيق : د٠ احسان عباس ٠ بيروت قسم ١ ج ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٣٢ ٠

(٤٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٢٣٣ ، المراكشى : المعجب ص ٢٣٧ ٠

(٤١) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ٠

(٤٢) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣١٩ ـ ٣٢٢ ٠

الاندلسيين الذين سكنوا المغرب وأفادوا أبنـاءها بعلمهم ، ولايتسع المجال لذكرهم (٤٣) ٠

وقد اعتمدت الدراسات الخاصة بعلم القراءات فى عصر بنى مرين على مصنفات أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، وخاصة كتابه (التيسير) الذى لخصه بعد ذلك أبو القاسم بن فيرة الشاطبى ونظمه فى قصيدة شعرية اشتهرت (بالشاطبية) رتب فى تلك القصيدة أسماء القرآن بحروف (أبجد) تسهيلا لحفظها (٤٤) ٠

وقد شهد علم القراءات فى عصر بنى مرين اهتماما من العلماء المغاربة ونبغ فيه عدد كبير من أبناء المغرب مثل : أبى عبـد الله الشريسى الخـراز المتـوفى سـنة ٧١٨ هـ/ ١٤١٥ م (٤٥) ، وأبى الحسن عـلى بن سليمان الأنصـارى القرطبى المتوفى سنة ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م والذى له عدد من المؤلفات فى هذا الفن منها : التجويد ومختصره ، المنابع فى قـراءة نافـع ، ترتيب الأداء ، الجمـع بين الـروايات فى الاقراء ، وتبيين طبقات المد وترتيبها (٤٦) ٠

ومنهم أيضا محمد بن ابراهيم الصفار المراكشى ، وهو من علماء القـراءات السـبع الذى كان كثيرا مايسـتدعيه السـلطان أبو عنـان المرينى ليقـرأ عليـه بـرواياته السبع (٤٧) ٠

ومن هؤلاء أيضا ميمون الفخار المتوفى سنة ٨١٦ هـ/

---

(٤٣) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل جـ ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ ، جـ ٦ ص ١٣ ٠

(٤٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ٠

(٤٥) الكتانى : سلوة الانفاس ٠ جـ ٢ ص ١١٤ ٠

(٤٦) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٩ ٠

(٤٧) المصدر السابق ٠ جـ ٢ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ٠

١٤١٣ م والذى كانت له مؤلفات ، عدة فى علوم القرآن ، ورسم المصحف ، والقراءات منها : التحفة والدرة ، والمورة فى نقط المصحف العلى (٤٨) . ومن تلاميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديرى الذى له كتاب : النافع فى أصل حروف نافع (٤٩) . ومن علماء القراءات أيضا محمد ابن على البقال المتوفى سنة ٧٨١ هـ/١٣٧٩ (٥٠) ، وأحمد ابن محمد الزواوى الذى كان اماما فى القراءات ، وكان أحد أعضاء مجلس السلطان أبى الحسن المرينى العلمى (٥١) .

رسم المصحف :

هو فن يبحث فى أوضاع حروف القرآن الكريم فى المصحف ورسومه الخطية (٥٢) . وقد انتهى فن رسم المصحف فى المغرب الى أبى عمر الدانى ، والذى كان من أشهر مؤلفاته فى فن رسم المصحف كتابه (المقنع) ثم أفرغ أبو القاسم الشاطبى محتويات هذا الكتاب فى قصيدته المشهورة (الشاطبية) (٥٣) . وبرز فى عصر بنى مرين أبو عبد الله الشربشى الحراز المتوفى سنة ٧١٨ هـ/ ١٤١٥ م (٥٤) حيث وضع قصيدة أخرى زاد فيها على ماجاء بالمقنع ذاع صيتها فى بلاد المغرب وهى (المشهورة بالعقيلة) والتى بها هجر أهل المغرب كل ماسبقها فى رسم المصحف

---

(٤٨) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٢ ص ٢ ، ٣ .

(٤٩) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٧ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٥٩ .

(٥٠) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٥١) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٧٧ .

(٥٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٣ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

(٥٤) : سلوة الانفاس جـ ٢ ص ١١٤ .

من فنون (٥٥) • ويعتبر الحراز هذا من آبرز علماء عصر بني مرين في هذا الفن ، وقد كانت له مؤلفات متعددة في هــذا المجــال منها : (مــورد الظمــآن في رســم أحــرف القرآن) (٥٦) •

ومن الذين برزوا آيضا في هــذا الفن في عصر بني مرين • ميمون الفخار المتوفى سنة ٨١٦ هـ/١٤١٣ م الذي كانت له مؤلفات في هذا الفن منها : (التحفة والدرة والمورد الردى في نقط المصحف العلى) (٥٧) •

وتجدر الاشارة الى أنه انتقل في عصر بني مــرين الى المغرب لون من الخط الاندلسي نظرا لهجــرة كثير من علماء الاندلس في تلك الفترة الى بلاد المغــرب نتيجة لظــروف الاندلس الطــاحنة ، ولترحيب ســلاطين بني مرين بهؤلاء العلماء واستخدامهم في الوظــائف الحــكومية على امتــداد دولتهم •

وفي العصر المريني تم رسم عدد من المصاحف الشريفة النــادرة ، كان أول هذه المصاحف ذلك الذي تم رسمه بأمر السلطان أبي يعقوب يوسف ، وقام باستنساخه أحمد بن الحسن الكاتب لتحمله قافلة حجاج المغرب الى الأراضي المقدسة كهدية للبيت الحرام • لذلك فقد صــنع لهــذا المصــحف غلافا بديع الصنع استكثر فيه من معــالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعلت منها حصاة في الوسط تفوق الحصوات الأخرى مقدارا وشكلا وحسنا (٥٨) •

---

(٥٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٣ •

(٥٦) الكتاني : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١١٤ •

(٥٧) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ •

(٥٨) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٢٦ •

كما كان السلطان أبو الحسن المرينى متقنا لفن الخط حيث قام بنفسه بكتابة نسخة من المصحف الشريف بخط يده ليبعث بهـا الى الحـرم المكى الشريف (٥٩) • ولما انتهى من نسخها جمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها ، كما استخدم القراء لضبطها وتهذيبها ووضع لهـا وعـاء من الأبنوس والعـاج والصندل دقيق الصـنعة ، غشى بصفائح الذهب ثم رصـع بالجوهر والياقوت واتخذ له غلافا من الجلد المحكم الصـنعة المرقوم بخطوط الذهب ، ومن فوقه لفائف الحرير والديباج والكتان (٦٠) •

ثم كتب السلطان أبو الحسن نسخة أخرى من المصحف الشريف بنفس الطريقة التى كتب بها نسـخته الأولى التى أوقفها للحرم المكى ليبعث بها الى الحرم المدنى بالمدينة المنورة مع رحلة الحج لعام ٧٤٠ هـ/١٣٣٩ (٦١) •

ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن المرينى بعد بسط نفـوذه على تونس شرع فى كتـابه نسـخة ثالثة من المصحف الشريف ليوقفها ببيت المقدس (٦٢) •

علوم القـرآن :

هو علم يتكون من عدة مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وترتيب سوره ، وبيان الوجوه التى

---

(٥٩) المصدر السابق : العبر جـ ٧ ص ٢٦٤ ، السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٦٢ •

(٦٠) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٤ •

(٦١) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ص ٦٣ ، ٦٤ •

(٦٢) ابن خلدون : العبر جـ ٧ ص ٢٦٦ •

نزل عليها وأسباب النزول ، وشرح غريبه ، ودفع الشبهات عنه ، وكل ماهو يختص به (٦٣) ·

ولعل السر فى آن العلماء سموا هذا العلم بصيغة الجمع (علوم القرآن) وليس بصيغة الافراد هو رغبتهم فى الاشارة بهذه التسمية الى أن كل مبحث من مباحثه جدير بآن يكون علما قائما بذاته اذا جمعت مادته على سبيل الاستيعاب والاستقصاء (٦٤) ·

وترجع مباحث هذا العلم فى جملتها الى مصادر ثلاثة ، كانت كلها معروفة للمسلمين الأوائل فى صدر الاسلام ، وهى ترجع الى لغتهم العربية ، والى الوحى من الله تعالى ، والى أحداث وقعت على مسامعهم وآعينهم ، فالذى يرجع الى لغتهم منه مبحث غريب القرآن ، ومبحث اعجازه وجدله ، وحقيقته ، ومجازه ونحو ذلك مما يرجع الى اللغة ، وهذا كله كان يدركه المسلمون الأوائل تمام الادراك لتمكنهم من لغتهم ، وماكان مرده الى الوحى ، كالوجوه التى نزل عليها وكمعرفة مانسخ من القرآن ، وبيان ماكان يحتاج الى بيان فى القرآن فكل ذلك كان يوحى به الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان النبى يبلغه لأصحابه · آما ماهو من قبيل الحوادث فيتمثل فيما كان يقع بين آظهرهم مثل أسباب النزول ، والنزول فى وقت كذا آو مكان كذا ، فان هذا أيضا كانوا يعرفونه بأنفسهم ، ويحيطون به بمجرد وقوعه · لكن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لم يدونوا كل هذه المباحث لان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد نهاهم عن كتابة

(٦٣) عبد الوهاب عبد المجيد : البيان فى مباحث علوم القرآن ص ٣١ ·

(٦٤) المرجع السابق : ص ٣١ ، ٣٢ ·

أى شيء غير القرآن ، فروى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال : «لاتكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه» (٦٥) ٠

لهذا لم يدون الصحابة هذه الأبحاث ، ولكنهم لم ينقطعوا عن روايتها لنشرها بين المسلمين ، وظل الأمر على هذا الحال يتناقله الرواة طبقة عن طبقة دون آن يدونوا شيئا حتى ظهر خلال القرن الثانى الهجرى عدد قليل من المؤلفات فى هذه الأبحاث ، كالذى يروى عن قتادة بن دعامة السدوس المتوفى سنة ١١٨ هـ من أنه كتب مؤلفا فى الناسخ والمنسوخ» (٦٦) ٠

وقد نبغ فى هذا العلم فى عصر بنى مرين عدد من العلماء نذكر منهم ميمون الفخار المتوفى سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م الذى كانت له مؤلفات عدة فى علوم القرآن ورسم المصحف والقراءات منها : (التحفة والدرة والمورد فى نقط المصحف العلى) (٦٧) ومن تلاميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديرى (٦٨) ٠

علم الحديث :

هو «علم تعرف به أقوال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله من قول ، أو فعل ، أو تقرير أو صفة ، وهو مرادف للسنة ، كما آنه آصل من آصول التشريع الاسلامى ومرتبته تلى مرتبة القرآن فى الاستدلال» (٦٩) ٠

---

(٦٥) عبد الوهاب عبد المجيد غزلان : البيان ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

(٦٦) المرجع السابق : ص ٣٤ ٠

(٦٧) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٢ ص ٢ ، ٣ ٠

(٦٨) المصدر السابق ص ١٥٧ ٠

(٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ٠

ولما كان علم الحديث (٧٠) المصدر الثـانى من مصادر التشريع الاسلامى فقد أدى ذلك الى تعدد أساتذة الحـديث ومدارسه فى مختلف مراكز الثقافة فى الاندلس كمـا هـو الحال فى كافة بلدان العالم الاسلامى (٧١) ٠

يقول ابن عبد البر القرطبى المتـوفى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م : ان أول مانظر فيه الطالب ، وعنى به العالم ، بعد كتاب الله عز وجل ، سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهى المنبئة لمراد الله عز وجـل من مجملات كتـابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية الى الصراط المستقيم (٧٢) ٠

لذلك فقد تعدد أساتذة الحـديث ومدارسه فى مختلف مراكز الثقافة فى الاندلس منذ وقت مبكر ، واشـتهر من هؤلاء عدد كبير ٠

أما فى المغرب لم يكن لعلم الحديث حظ يذكر قبل ظهور المرابطين (٧٣) ، ومن ثم كان تطور علم الحديث فى العصر المرابطى بطيئا ، ومن الشخصيات الاندلسية التى هاجرت الى عاصمة المرابطين واستوطنتها واشتغلت بتدريس الحديث : عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم بن منصور اللخمى

---

(٧٠) الحديث هو كل ما ورد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير شىء رآه ولذلك تعددت العلوم المتشعبة عن الحديث فكان : الناسخ والمنسوخ ، وهو من أهم علوم الحديث وأصعبها ، والنظر فى الاسانيد ، ومعرفة شروط السند ، ومعرفة رواة الحديث ، ومراتب الصحابة والتابعين وتفاوتهم فى ذلك ٠ والالفاظ ، الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب ٠ والخلافات بين أئمة الشأن ، والوفاق بين أئمة الشأن ، وغير ذلك من الالقاب وكيف أخذ الرواة بعضهم عن بعض : قراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة ، وتفاوت رتبها ٠ وأحوال النقلة ٠٠٠ الخ (ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٥) ٠

(٧١) د٠ محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣٠٠ ٠

(٧٢) ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ص ٢ ٠

(٧٣) محمد عثمان المراكشى : الجامعة اليوسفية ، (الرباط ١٩٣٧) ص ١٨٤ ٠

الذى ولى قضاء الجماعة بمدينة مراكش وكان من رجال الحديث روى عنه وناظر عنده أبو الفضل بن عياض توفى سنة ٥١٣ هـ/١١١٩ م (٧٤) ٠

ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصارى الذى استوطن عاصمة المرابطين وكان من رجال العلم والمعرفة وله عناية خاصة بعلم الحديث وروايته عارفا بطرقه وصحيحه وسقيمه فضلا عن الممامه بعلوم آخرى درس عليه علم الحديث بمراكش جماعة منهم ابنه أبو العباس وتوفى بمراكش سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٨ م (٧٥) ومنهم مالك بن يحى بن وهيب سكن مراكش وتوفى بها سنة ٥٢٥ هـ/١١٣٠ م وكان يحيط بعلوم كثيرة منها علم الحديث الذى اشتغل بتدريسه بمدينة مراكش ، كما أنه هو الذى ناظر المهدى بن تومرت بحضور على بن يوسف بن تاشفين بمسجد ابن يوسف (٧٦) ٠

هذا فضلا عن شخصيات علمية أندلسية آخرى سكنت المغرب فى العهد المرابطى واشتغلت بتدريس الحديث (٧٧)٠

ومن العلماء الاندلسيين الذين وفدوا على العاصمة المرابطية مراكش واشتغلوا بتدريس الحديث منهم محمد بن اسماعيل بن عبد الملك الصدفى الذى توفى بمراكش سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ ، ومحمد بن أبى عمرو عبد الرحمن بن محمد سن عبد الرحمن بن أحمد الاندلسى الذى حدث بمراكش

---

(٧٤) ابن الابار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق : ابراهيم الابيارى (القاهرة ١٩٥٧) ٠

(٧٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ق ٢ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، العباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام (الرباط ١٩٧٤) جـ ٨ ص ٥٥ ، ٥٦ ٠

(٧٦) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٦٢١ ، المراكشى : المعجب ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، المقرى نفح الطيب جـ ٣ ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، العباس بن ابراهيم جـ ٨ ص ٥٤٠ ٠

(٧٧) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٥٨٠ ٠

فنفع الله بعلمه كثيرين وتوفى بمدينة أشبيليه سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م (٧٨) .

وفى العصر الموحدى يبدو أن اهتمام الموحدين بدراسة علم الحديث كان نابعا من مذهبهم الدينى حيث فرضت الدولة على المواطنين الدراسات الاجبارية للحديث وقد جعل لمن يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الجوائز السنية (٧٩) .

ومن علماء الحديث الاندلسيين الذين سكنوا المغرب فى العهد الموحدى : محمد بن ابراهيم بن الفخار الانصارى استدعى الى العاصمة الموحدية من قبل ملوكها الموحدين وتوفى بها سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م (٨٠) .

وقد كان من أحفظ علماء زمانه للحديث والفقه واللغات والآداب والتواريخ آيه فى ذلك من آيات الله» (٨١) .

ومن هؤلاء أيضا : محمد بن عبد العزيز بن خلف بن عبد العزيز المعافرى سكن مدينة مراكش باستدعاء من المنصور الموحدى ، عالم بعلوم كثيرة منها علم الحديث فقد كان محدثا راوية عدلا مكثرا صحيح السماع ثقة متقدما فى النحو ، تصدر للتدريس بجامع المنصور الموحدى لما له من معارف صنف بعض الكتب التى اقبل عليها المراكشيون قراءة ونسخا لأهميتها العلمية صنف كتابا فى اخبار خليل وسلفه وبيته ومناقبه وتوفى بمدينة مراكش سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م (٨٢) .

---

(٧٨) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣٥٦ ـ ٣٦١ .

(٧٩) المراكشى : المعجب ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ بدار الكتب المصرية ، ج ٢٢ ورقة ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٨٠) ابن عبد الملك المراكشى : ج ٦ ص ٨٧ ـ ٩٠ .

(٨١) المصدر السابق : الذيل ج ٦ ص ٨٧ ـ ٩٠ .

(٨٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٨٢ .

وعلى بن محمد بن القطان الكتامى : الذى سكن مدينة مراكش ورأس فيها طلبة العلم وكان من آبصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم صنف مصنفات عديدة بعضها فى علم الحديث حيث استدرك على كتاب الاحكام لأبن عبد الحق بكتاب سماه : بيان الوهم والايهام الواقعين فى كتاب الاحكام (٨٣) وتوفى بسلجماسة سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م (٨٤) ٠

ومن العلماء الذين برزوا فى هذا العلم فى عصر بنى مرين محمد بن عبد الرحمن التميمى الذى كان يروى الحديث بأسانيده ومتونه ، ويستظهر مطولاته (٨٥) ٠

ويعتبر ابن رشد المتوفى سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م شيخ المحدثين فى عصر بنى مرين ، والذى اشتهر بأنه عالى الاسناد ، صحيح النقل أصيل الضبط تام العناية بالصناعة الحديثية ، قيما عليها بصيرا بها (٨٦) ٠ كما كان على دراية كبيرة بعلم الجرح والتعديل المتصل بعلم الحديث (٨٧) ٠

ومن أئمة الحديث فى ذلك العصر آيضا الحافظ عبد المهيمن الحضرمى ، الذى كان حجة فى حفظه ورجاله ، كانت له أربعينات فى الحديث ، ومجلس لتدريس هذا العلم بتونس أيام بسط النفوذ المرينى عليها (٨٨) ٠

ويعتبر محمد بن عبد الرازق الجزولى من آشهر علماء

---

(٨٣) المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٠ ٠

(٨٤) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ٠

(٨٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٣٩ ٠

(٨٦) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١٩١ ٠

(٨٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٨٠ ٠

(٨٨) ابن مرزوق : المسند ص ١٤٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٧٩ ٠

الحديث فى عهد السلطان أبى عنان حيث كان يأخذ السلطان عنه الحديث (٨٩) ٠

وممن اشتهروا أيضا بهذا العلم فى عصر بنى مرين : محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الاندلسى المتوفى سنة ٧٧٨ هـ/١٣٧٦ م الذى ألف فى علم الحديث كتابه : (تحفة الناظر ونزهة الحاضر فى غريب الحديث) ، وكتابه (الجامع) الذى أعده فى جزءين (٩٠) ٠

ومن هؤلاء أيضا أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف (بالقباب) المتوفى سنة ٧٧٨ هـ/١٣٧٦ م والذى كان له مجلس كبير فى الحديث حضره لسان الدين بن الخطيب (٩١)٠

ومن هؤلاء العلماء أيضا يحيى بن أحمد السراج المتوفى سنة ٨٠٥ هـ/١٤٠٢ م الذى كان فقيها محدثا مكثرا فى الرواية (٩٢) ٠

الفقــه :

و «يسمى بعلم الدراية وهــو معــرفة النفس مالهــا وماعليها» (٩٣) ٠ وتعنى كلمة الفقه فى اللغة : العلم بالشىء والفهم له ٠٠٠ وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة (٩٤)٠

وقد تأثرت الاندلس فى الفترة الاولى من حياتها كما

---

(٨٩) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ٢٧٦ ٠

(٩٠) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ٠

(٩١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٦٠ ٠

(٩٢) المصدر السابق ص ٣٣٩ ٠

(٩٣) التهانوى : كشاف أصطلاحات الفنون ص ٤١ ــ ٤٤ ٠

(٩٤) الزرنوجى : تعليم المتعلم طريق التعليم تحقيق : د٠ عبد اللطيف محمد العبد ٠ القاهرة ١٩٧٧ م ص ٦٣ ٠

هو معروف بحضارة دمشق فكان من الطبيعى أن تعتنق مذهب الأوزاعى (٩٥) بحسب كونه شاميا مواليا للأمويين خاصة أن مذهب الاوزاعى كان يهتم بصفة خاصة بالتشريعات العسكرية وأحكام الحرب وهو مايناسب وضع الاندلسيين فى هذه الفترة الأولى من حياتهم القائمة على الحرب والقتال (٩٦) ٠

ثم مالبثت الأندلس وانتشر بها المذهب المالكى (٩٧) فى فترة وجيزة حتى اصبح المذهب الرسمى لدولة الأندلس (٩٨) بل وكان فقهاء الأندلس أحرص على مذهب مالك من فقهاء أى اقليم اسلامى آخر ٠

ولقد انجبت الأندلس فى الفقه علماء مشهورين بالفضل ، فظهر بها طائفة كبيرة من كبار الفقهاء على المذاهب الأربعة : فمن آئمة فقهاء المذهب المالكى يحيى بن يحيى الليثى ت ٢٣٤ هـ/٨٤٨ م واستاذه زيار بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بشبطون أول من ادخل المذهب المالكى الى الأندلس (٩٩) وتسولى يحيى بن يحيى الليثى فتيا الأندلس برأى مالك بعد عيسى بن دينار وذكروا أنه لم يعط أحد

---

(٩٥) الاوزاعى هو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى ، ولد عام ٨٨ هـ / ٧٠٧ م وقضى معظم حياته فى الشام وتوفى فى عام ١٥٧ هـ / ٧٧٧ م ودفن فى بيروت ٠

(د٠ محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٧٤) ٠

(٩٦) د٠ أحمد ابراهيم الشعراوى : دراسات فى ناريخ اسبانيا فى العصور الوسطى الجزء الثانى سنة ١٩٧٩ ص ١١٣ ٠

(٩٧) تأسس المذهب المالكى فى المدينة المنورة على يد مالك بن انس رضى الله تعالى عنه ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م ٠ الذى ألف كتابه المعروف باسم (الموطأ) وهذا الكتاب يضعنا أمام طور من الأطوار الهامة فى تاريخ المذاهب ، الا وهو طور استقلال الفقه عن الحديث والاهتمام بالرأى وفتح باب الاجتهاد فى الدراسات الفقهية (د٠ أحمد ابراهيم الشعراوى : ص ١١٦) ٠

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١١٥ ٠

(٩٩) المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥ ٠

من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة وعظم القدر ما أعطاه يحيى بن يحيى • (١٠٠)

وبرز من فقهاء المالكية بقرطبة زمن المرابطين آبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ت ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م جد الفيلسوف ابن رشد ، وكان عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه بصيرا بآرائهم (١٠١)

ومن بين الفقهاء المالكيين الآندلسيين الذين ترددوا على المغرب فى العهد المرابطى وممن مارسوا فيها نشاطا علميا ابن رشد (الجد) الذى كان يحظى باحترام كبير لدن حكام مراكش ، وقد صنف فى الفقه عدة كتب (١٠٢) يبدو أنها كانت من بين الكتب المعتمدة فى عهد المرابطين من تلك الكتب والتى مازالت مخطوطة فى الخزانة العامة بالرباط (الاجوبة لابن رشد) ويتضمن كتابا عن الجهاد ، وكتابا عن الصحابة ، وكتابا عن الحج ، وكتابا عن مسائل النكاح وكتابا عن السلم •

وكتاب (المقدمة) يتضمن فصلا فى شروط التكليف ، وفصلا فى تحقيق حدود الأوقات ، وفصلا فى الصلاة فى سبب شرع الضحايا وكتاب (البيان والتحصيل والشرح والتوحيد والتعليل) ويتكون الكتاب من سبعة مجلدات كبيرة تناولت الجهاد والنكاح والطلاق والوضوء والصلاة والوكالات وكراء الدور والأراضى والوديعة والقراض والبيوع • الخ (١٠٣) وقد ذكر أن اشتغال بن رشد فى هذا الكتاب كان سببا فى

---

(١٠٠) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس قسم ٢ ص ١٨٠ ترجمة رقم ١٥٥٦ •

(١٠١) ابن بشكوال ، الصلة ترجمة رقم ١١٥٤ •

(١٠٢) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ •

(١٠٣) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٢٩٠ •

اقالتـــه من قضـــاء قرطبـــة بأمـــر حـــكومة على بن يوسف ابن تاشفين . (١٠٤)

ولما كانت الأصول المعتبرة عند الموحدين فى الفقه ، هى القرآن والســـنه والاجمـــاع (١٠٥) أما القيـــاس فلا يأخذون الا بالقياس الشرعى (١٠٦) لذلك فقد ازدهرت على عهدهم دراسة أصول الفقه واصـــول الدين فى المغرب الى درجة أن بعض الأندلسيين كانوا يرحلون الى المغرب لدراسة هذين العلمين (١٠٧) .

وفى عصر بنى مرين استعاد المذهب المالكى مكانته التى كان عليها قبل عصر الموحدين الذين صـــادوروا كتب الفقه المالكى وأحرقوها (١٠٨)

وقد بلغ من هيمنة المذهب المالكى فى عصر بنى مرين أن أحد علمائه وهو عبد الرحمن بن عفان الجزولى كان يحضر مجلسه العلمى اكثر من ألف فقيه مالكى معظمهم يســـتظهر المدونة (١٠٩) .

وطبيعى أن تتقدم علوم الفقه فى عصر بنى مرين تقدما ملموســـا يدل على ذلك كثرة الفقهـــاء الذين نبغوا فى هذا المجـــال ، وأيضـــا كثرة المؤلفـــات التى وضـــعت فى علـــوم الفقه (١١٠) .

ومن آشهر علماء الفقه فى عصر بنى مرين . محمد

(١٠٤) ابن القاضى : حذوة الاقتباس ، قسم ٢ ص ٤٦٠ .
(١٠٥) ابن تومرت : أعز ما يطلب ص ١٨ ، ٢٨٠ .
(١٠٦) المصدر السابق : ص ١٧٣ ، ١٧٤ .
(١٠٧) المنونى : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (الرباط ١٩٧٧ ص ٥٨).
(١٠٨) ابن مرزوق ، المسند ص ٢٠٥ .
(١٠٩) الفرديل : الفرق الاسلامية ص ٣٢٣ .
(١١٠) عبد الله كنون النبوغ المغربى ج ١ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

ابن محمد بن أحمد المقرى المعروف (بالمقرى الكبير) المتوفى سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م (١١١) ، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجزامى المعروف (بالقباب) ولقد كان نبوغ القباب فى علوم الفقه مشارا لتأليف بعض الكتب حيث ألف العقبانى : لب اللباب فى مناظرات القباب » (١١٢) ٠

ومما يلفت النظر ان كبار علماء الفقه فى عصر بنى مرين كانوا يعيبون على بعض علماء الفقه حرصهم على وضع المختصرات فى هذا المجال ، وقد عبر عن ذلك القباب حين التقى بابن عرفة فى تونس وعرض ابن عرفة عليه مختصره الفقهى (١١٣) ، فقال له القباب : «تآليفك هذا لا نفع به للمبتدى لصعوبته ، ولا يحتاج اليه الشهير (١١٤)٠

وكذلك اعترض البرتاسنى ، وهو الفقيه الكبير على ابن شاس حين استشاره فى وضع مختصره الذى سماه (الجواهر) (١١٥) ٠

علم الكلام :

هو «علم يتضمن الاستدلال على العقائد الايمانية بالادلة العقلية ، والرد على من خالف طريقة الصالح ، ومذهب أهل السنة فى تلك العقائد » (١١٦) ٠ ويسمى بأصول الدين ٠٠ وبالفقه الأكبر ٠٠٠ وبعلم النظر والاستدلال ٠٠٠ وبعلم

---

(١١١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، الكتانى : سلوة الانفاس ج ٣ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ٠

(١١٢) ابن القاضى جذوة الاقتباس ص ٦٠ ٠

(١١٣) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ج ١ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ٠

(١١٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ج ٦٠ ٠

(١١٥) المصدر السابق ص ١٩٢ ، ١٩٣ ٠

(١١٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٣ ٠ ت

التوحيد والصفات (١١٧) ٠

وقد عرف المغرب هذا العلم فى عهد الموحدين على يد قلة من الأندلسيين (١١٨) ٠

ويبدو أن الدارسين لهذا العلم فى عصر بنى مرين كانوا يعتمدون على كتاب الأمام فخر الدين الرازى الذى وضعه فى علم الكلام وسماه (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) (١١٩) ويذكر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه الاحاطة فى أخبار غرناطة ان ابن خلدون قد لخص (محصل) الأمام فخر الدين الرازى فى كتاب سماه : (لباب المحصل فى أصول الدين) ٠ واذا كان هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على مبلغ تمكن بن خلدون من مسائل هذا العلم واحاطته بمختلف فروعه ، الا أن ذلك لايكفى للدلالة على مكانة هذا العلم فى عصر بنى مرين لعدم عثور الباحث على أسماء أخرى للمهتمين بهذا العلم ٠

علوم اللسان العربى :

علوم اللسان العربى : « أركانه أربعة » : وهى اللغة والنحو البيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، اذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح

---

(١١٧) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ص ٣٠ ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٢٨ ، ٢٩ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ص ٣٥٠ ــ ٣٥٣ ٠

(١١٨) محمد المنونى : نظم الدولة المرينية ٠ مقال منشور فى مجلة البحث العلمى بالرباط ٠ السنة الأولى العدد الثانى مايو / أغسطس ١٩٦٤ ص ٥٨ ٠

(١١٩) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٢٧٧ ٠

مشكلاتها من لغاتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ، وتتفاوت فى التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبين فى الكلام عليها فنا فنا • والذى يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، اذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الافادة • وكان من حق علم اللغة التقدم ، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر • فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة ، اذ فى جهله الاخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة •• » (١٢٠) •

وقد بدأ أهتمام علماء الأندلس بعلوم اللسان العربى (١٢١) مبكرا حيث قاموا بالرحلة الى الشرق للدراسة واحضار الكتب الرئيسية (١٢٢) حتى أنه حينما وصل أبو على القالى الى الأندلس كان مستوى أهلها اللغوى طيبا ووجد بها من يستحق تقديره واحترامه مثل محمد بن القوطية (١٢٣) •

ولقد كان لأبى على القالى ٢٨٨ ـ ٣٥٦ هـ/٩٠١ ـ ٩٦٧ م دور كبير فى رفع مستوى الأندلس من الناحية اللغوية

---

(١٢٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥١٤ •

(١٢١) علوم اللسان العربى هى علوم تساعد على تفهم اللغة العربية تفهما جيدا ، والحديث بها بطريقة صحيحة ، واجادة التعبير بها نثرا أو شعرا • وأركان هذه العلوم اربعة : اللغة والنحو والبيان والادب (د• محمد عبد المجيد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣٠٩) •

(١٢٢) المرجع السابق ص ٣١١ •

(١٢٣) المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ٧٣ •

الى أقصى حد ممكن ، فقام بتدريس اللغة العربية وآدابها ، وأملى كتابه المشهور « الامالى » (١٢٤) ٠

ويعتبر أبو بكر الزبيدى قمة تطور هذه العلوم فى الأندلس ، ومن بعده بن سيده المتوفى سنة ٣٨٣/ ٩٩٣ م (١٢٥) ٠

أما فى المغرب فان اللغة العربية لم يتسع انتشارها الا بعد ظهور المرابطين على مسرح الأحداث وتوحيد المغرب والأندلس فى كيان سياسى واحد (١٢٦) ، فمن المعروف أن يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية كان يجهل اللغة العربية ابان حكمه (١٢٧) ، وبالرغم من ذلك فانه يتخذ من اللغة العربية لغة رسمية فى الدواوين التى انشأها بالمغرب (١٢٨) ٠

ويذكر بعض الباحثين ان المرابطين كانت لهم عناية خاصة بدراسة اللغة العربية وعلومها (١٢٩) ٠

اما فى العهد الموحدى فقد نضجت فيه دراسة علوم اللسان العربى مع ازدياد هجرة الكثير من علماء الأندلس الى المغرب (١٣٠) ٠

---

(١٢٤) د٠ محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣١١ ٠

(١٢٥) الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق ٠ محمد بن تاويت القاهرة ١٣٧١ هـ /١٩٥٣ م) ص ٣٨١ ٠

(١٢٦) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٠٨ ٠

(١٢٧) Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne (Leyden 1932), p. 872.

(١٢٨) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٠٨ ٠

(١٢٩) محمد عثمان المراكشى : الجامعة اليوسفية ص ٢٠٥ ٠

(١٣٠) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٠٨ ٠

النحو :

كلمة النحو من حيث المعنى اللغوى ، فهو القصد والطريق (١٣١) .

وردت فى كتب التراجم والطبقات اشارات تشير الى وجود نشاط للدراسة النحوية بالمغرب على العهد المرابطى غير أننا نجهل طبيعة ذلك النشاط والسبب فى ذلك يعود الى أن الجهود التى بذلت فى هذا المضمار من الدراسات كانت جهودا فردية لم ترق الى مستوى الدراسات المتخصصة المستقلة فى المعاهد العلمية المرابطية ، ومن كتب النحو التى كانت تدرس فى المؤسسات العلمية بمراكش كتاب سيبويه والايضاح لابى على الفارسى (١٣٢) .

ويبدو أن الدراسات اللغوية المتخصصة المستقلة لم تظهر بالمغرب الا فى العهد الموحدى لان العهد المذكور شهد ورود عدد كبير من العلماء النحويين المتخصصين على مراكش استقروا بها وتصدروا لتدريس النحو (١٣٣) .

ومن أوائل العلماء الاندلسيين الذين استوطنوا عاصمة الموحدين وأسهموا فى اقامة المدرسة النحوية فيها محمد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس العبدرى الذى أسهم فى الأنشطة العلمية المختلفة فى مراكش فقد كان من المبرزين بالدراسات النحوية تصدر لتدريسها فى مراكش على العهد الموحدى (١٣٤) ومن مصنفاته مشاحذ الأفكار فى مآخذ

---

(١٣١) ابن منظور : لسان العرب ص ١٨٠ .

(١٣٢) محمد عثمان المراكشى ، الجامعة اليوسفية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ . عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر . (القاهرة ١٩٥٨) ص ٩ ٤ .

(١٣٣) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة جـ ٦ ص ٣١٩ ـ ٣٢٢ .

(١٣٤) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٢٠ .

النظار (١٣٥) وشرحاه الكبير والصغير على جمل الزجاج وشرح أبيات الايضاح العضدى ومقامات الحريرى ، وشرح معشراته الغزلية ومكفرتها الزهدية (١٣٦) توفى بمراكش سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١ م (١٣٧) .

ومن الاندلسيين النحويين الذين كان لهم أثر كبير على الدراسات النحوية بالمغرب فى العهد الموحدى أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى الذى التحق بخدمة الموحدين منذ سنة ٥٤٠ هـ (١٣٨) وعاصر عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده المنصور وتولى قضاء الجماعة بمدينة مراكش (١٣٩) وصنف كتابا فى النحو سماه : المشرق ضمنه الآراء النحوية التى كان يعتقدها والتى خالف فيها نحاة عصره (١٤٠) كما صنف كتابا آخر فى النحو سماه تنزيه القرآن عن ما لا يليق بالبيان (١٤١) وقد احدث هذا الكتاب ضجة بين النحويين الذين عملوا بالعاصمة الموحدية فتصدوا له وردوا عليه وممن رد عليه على بن محمد بن خروف حيث صنف كتابا سماه تنزيه أئمة النحو عن ما نسب اليهم من الخطأ والسهو (١٤٢) كما صنف ابن مضاء اللخمى كتابا ثالثا سماه (الرد على النحاه) وفى كتابه هذا يعتبر صاحب نظرية جديدة حمل فيها لواء

---

(١٣٥) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٣١٩ .

(١٣٦) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(١٣٧) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٢٢ ، عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣١٦

(١٣٨) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ١ ص ٢١٨ .

(١٣٩) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١ .

(١٤٠) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧ .

(١٤١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(١٤٢) نفس المصدر والصفحات .

التجديد فى النحو العربى (١٤٣) فقد ذكر فى مقدمة الكتاب : قصدى فى هذا الكتاب ، أن أحذف من النحو مايستغنى النحو عنه وانبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه (١٤٤) فمن هذا يظهر أن ابن مضاء صاحب دعوة جديدة فى علم النحو مازالت دعوته تشغل بال النحويين حتى عصرنا هذا (١٤٥) توفى فى أشبيلية سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥م ومن علماء النحو الأندلسيين الذين انتفعت مدينة مراكش بعلمهم فى العهد الموحدى على بن محمد بن خروف الحضرمى النحوى الذى كان اماما فى صناعة العربية انقطع لتدريسها وصرف جل اهتمامه الى كتاب سيبويه الذى تناوله بالشرح فى كتاب : تنقيح الالباب فى شرح غوامض الكتاب (١٤٧) .

ويقع فى أربعة مجلدات وقد كافأه عليه محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدى بأربعة آلاف درهم موحدية (١٤٨) .

وفى أوائل عهد بنى مرين بالمغرب يبرز اسم محمد بن موسى السلوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ الذى تفوق فى تدريسه لهذا العلم على كتاب سيبويه وذاع صيته بمدينة فاس (١٤٩) .

---

(١٤٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام (القاهرة ١٩٦٦) ج ٣ ص ٩٥ ـ ٩٧ ، فوزى سعد عيسى ،الشعر الاندلسى فى عصر الموحدين ص ٨٧ .

(١٤٤) ابن مضاء اللخمى : الرد على النحاة تحقيق : د. محمد ابراهيم البنا (القاهرة ١٩٧٩) ص ٦٩ .

(١٤٥) نفس المصدر مقدمة الكتاب ص ٥ ـ ١١ .

(١٤٦) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ص ٢١٢ ـ ٢٢٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ق ١ ص ١٤٢ ، العباس بن ابراهيم : الاعلام ج ٢ ص ٩٢ ـ ٩٤ .

(١٤٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ق ٢ ص ٤٨٢ .

(١٤٨) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٥ ص ٣٢١ .

(١٤٩) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين النحاة . ت. محمد ابو الفضل ابراهيم ج ١ ص ٢٥٣ .

ويتصدر ابن أجروم قائمة أشهر علماء النحو فى العصر المرينى ، وهو صاحب المقدمة المشهورة باسم (الاجرومية) وقد وصفه الذين تولوا شرح مقدمته هذه كالراعى والمسكودى وغيرهما بالامامية فى علم النحو (١٥٠) .

وكما استفاد أهل المغرب من ابن أجروم استفاد منه آخرون من أهل البلاد الاسلامية الأخرى كالسيوطى حيث ينص فى كتابه (بغية الوعاة) على ذلك صراحة فيقول : «وهو أنا استفدنا من مقدمته (يعنى مقدمة ابن آجروم) أنه كان على مذهب الكوفيين فى النحو لانه عبر بالخفض مرة وهو عبارتهم وقال : الأمر مجزوم وهو ظاهر فى أنه معرب وهو رأيهم» (١٥١) .

كما وصل الى المغرب فى العهد المرينى ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام ، استوفى فيه أحكام الاعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى أكثر أبوابها أطلق عليه (المغنى) فى الاعراب فوقف منه أهل المغرب على علم جم (١٥٢) .

ومن علماء المغرب الذين تألقوا فى عصر بنى مرين فى علم النحو محمد بن على بن حياتى الغرناطى المحقق والمتوفى سنة ٧٨١ هـ/١٣٧٩ م (١٥٣) ، ومحمد بن على البقال المتوفى سنة ٧٨١ هـ/١٣٧٩ م الذى كان له تحقيق فى علم

---

(١٥٠) السيوطى : بغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٨ .

(١٥١) المصدر السابق الصفحة ذاتها .

(١٥٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٥١٦ .

(١٥٣) الكتانى : سلوة الانفاس ٣ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

النحو (١٥٤) . ومن هؤلاء عبد الرحمن بن صالح ابن على المسكودى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م وهو أحد النحاة الذين ذاع صيتهم بمدينة فاس وله شرح على ألفية ابن مالك وشرح آخر على مقدمة ابن أجروم ، كما أن له نظما فى التصريف (١٥٥) . والجاديرى صاحب كتاب (المذكر والمؤنث) والمتوفى سنة ٨١٨ هـ/١٤١٥ م (١٥٦) .

الأدب :

هو علم لا موضوع له ينظر فى اثبات عوارضه أو نفيها، وانما المقصود منه ثمرته وهى الاجادة فى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم (١٥٧) وقد شهدت عاصمة المرابطين بداية نهوض وتفتح فى العلوم الأدبية لاسيما النثر الذى لم تعرفه من قبل مدن القطر المغربى وذلك بفضل تحويل نخبة من فرسان البلاغة والفصاحة الاندلسيين الى عاصمة المرابطين الذين كانوا قبل ذلك يعملون بخدمة ملوك الطوائف الذين نحاهم يوسف بن تاشفين عن مراكز السلطة والنفوذ فانقطع اليه بعد ذلك من بلاد الاندلس من أهل كل علم فحوله واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالايتفق اجتماعه فى عصر من الاعصار (١٥٨) وذلك لان المرابطين بعد توسع سلطانهم وجدوا أنفسهم أمام متطلبات جديدة اقتضتها حاجة دواوين ودوائر دولتهم التى كانت تفتقر الى الخبرة والتجربة فى الشئون السياسية والعسكرية والادارية

(١٥٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(١٥٥) المصدر السابق ص ٩ .

(١٥٦) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١٥٧ .

(١٥٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٢١ .

(١٥٨) المراكشى : المعجب ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

والكتابية فعمدوا الى توفيرها من حواضر بلاد الاندلس فاستدعوا مجموعة من الأدباء الكتاب الذين سهروا على تنظيم شئون دولتهم (١٥٩) · ومن اشهر ادباء الاندلس وكتابها الذين خدموا فى بلاط مراكش المرابطى هم عبد الرحمن بن اسباط الذى كان من أوائل الاندلسيين الذين عملوا فى البلاط المرابطى وذلك قبل عبور يوسف بن تاشفين الى بلاد الاندلس وقد توفى فى مدينة سبتة سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م (١٦٠) ·

وابن القصيرة ، محمد بن سليمان : الكلاعى الاشبيلى يكنى ابا بكر وهو الذى ذكر عنه أنه كان أحد رجال الفصاحة والحائز على قصب السبق فى البلاغة كان على طريقة قدماء الكتاب من ايثار جزل الألفاظ وصحيح المعانى (١٦١) وقد استدعاه للكتابة بالعاصمة المرابطية يوسف بن تاشفين بعد وفاة عبد الرحمن بن اسباط وبقى يشغل هذا المنصب حتى فى عهد على بن يوسف بن تاشفين الى آن توفى بمراكش سنة ٥٠٨ هـ/١١١٤ م (٢ ١) ويبدو آن الكاتب ابن القصيرة كان من أبرز كتا بعصره لاتفاق كتب التراجم على أنه رأس أهل البلاغة فى وقته اضافة الى العامة بعلوم كثيرة أخرى (١٦٣) ·

---

(١٥٩) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٢٤ ·

(١٦٠) د· محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين مقال بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد · المجلد السابق والثامن ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ، ص ١١٥ ·

(١٦١) المراكشى : المعجب ص ١٦٤ ·

(١٦٢) الفتح بن خاقان : قلائد العقبان ص ١٠٧ ــ ١١٠ ، الصلة ٥٦٩/٢ ، العباس ابن ابراهيم : الاعلام ج ٤ ص ٤٩ ·

(١٦٣) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة تحقيق د· احسان عباس (بيروت ١٩٧٨) ق ٢ ج ٢٣٩/١ ــ ٢٨٤ ·

(١٦٤) الفتح بن خاقان قلائد العقبان ج ص ١١٣ ــ ١١٩ ، ابن بسام الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ٢٨٥ ــ ٣٢٢ ·

وهناك طائفة كبيرة من الكتاب الفحول المجيدين ممن جمعوا بين النظم والنثر وعملوا فى البلاط المرابطى كابن الجد الفهرى المعروف بالأحدب (١٦٤) . الذى استدعاه على ابن يوسف بن تاشفين الى مدينة مراكش وألحقه بديوان الكتابة الى أن توفى سنة ٥١٥ هـ /١١٢١ م (١٦٥) وابن عبدون وهو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون من بين الكتاب الأفذاذ الذين خدموا الدولة المرابطية والذى تربى فى بلاط بنى الأفطس (١٦٦) .

وابن أبى الخصال محمد بن مسعود بن طيب بن فرج الذى وصفه الفتح ابن خاقان بانه النباهة (١٦٧) .

وقد تخرج على يد هؤلاء الكتـــاب الاندلسيين نخبة من الكتاب من أبناء المغرب ممن تصـــدوا لهذا الفن وبلغوا فيه شأوا بعيدا وخدموا فى بلاط الدولتين المرابطيه والموحديه كأحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيه الفضاعى واخيه أبى عقيل بن أبى جعفر بن عطيه القضاعى (١٦٨) .

أما حركة النثر فى العهد الموحدى فقد كانت امتدادا لحركة النثر فى العهد المرابطى مع ميلها الى شيء من التكلف الذى يكمن فى الاسهاب وذكر الالقاب السلطانيه لا سيما فى الرسائل الديوانيه (١٦٩) مع الاحتفاظ بروعة الأسلوب

---

(١٦٥) ابن بشكوال الصلة ترجمة رقم ١٢٦٧ ص ٥٧٤ .

(١٦٦) الفتح بن خاقان قلائد العقيان ص ١٥١ ـ ١٦٠ ، ابن بسام الذخيرة ق ٢ ج ٢ ص ٦٦٨ ـ ٧٢٧ المراكشى : المعجب ص ٧٤ ، ٧٥ .

(١٦٧) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص ١٨١ ـ ١٨٨ ، ابن الابار : المعجم ١٤٩ ـ ١٥٤ ترجمة رقم ١٢٥ .

(١٦٨) لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ٢٦٣ ـ ٢٧١ .

(١٦٩) د. محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة ص ١٢٠ ، ١٢١ .

والمعنى وقد واصلت الحركة المذكوره تقدمها وازدهارها تبعا لازدهار الحركة الفكرية والعمليه ٠

ومن الأدباء والكتاب الأندلسيين الذين استكتبتهم الدولة الموحديه أيام عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ، عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدى القرطبى كان مع تقدمه فى الآداب وبراعته فى الكتابة شاعرا ومن أبرع الناس حظا وأحسنهم وراقة نال عند الموحدين منزلة عاليه وتوفى سنة ٥٦٨ هـ/١١٧٢ م (١٧٠) اما اسلوبه فى تحرير الرسائل فلا يختلف عن اسلوب سلفه الكاتب ابن عطية وقد كتب للموحدين كثير من الآدباء الأندلسيين الذين يطول المقام بذكرهم (١٧١) ٠

وقد شهد عصر بنى مرين حركة آدبية واسعة النشاط ، ساعد على ازدهارها البيت المرينى الحاكم حيث شجع سلاطين بنى مرين وأمرائهم الأدباء والشعراء فى دولتهم وأجزلوا لهم العطاء ، كما احتل الأدباء والشعراء مكانة مرموقة فى بلاط بنى مرين ، وتولوا الوظائف الكبرى ، فهناك مثلا بيت بنى أبى مدين العثمانى الذى انحصرت فيه كتابة الانشاء وخطة العلامة مدة طويلة منذ أيام السلطان آبو يوسف يعقوب المرينى وأبنائه من بعده (١٧٢) ٠ وهناك أيضا الكاتب أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى ، الذى ارتقت صناعة الانشاء والترسيل على يديه ، ونذكر آيضا الكاتب المالقى أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى الخزرجى الذى شغل منصب الكتابة وائتمن على خطة العلامة ، وكانت

---

(١٧٠) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ق ١ جـ ٥ ص ٢٦ ـ ٣٠ ٠

(١٧١) المراكشى : المعجب ص ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٣١٢ ٠

(١٧٢) ابن الأحمر : روضة النسرين فى دولة بنى مرين ص ١٨ ـ ٢٩ ٠

له مراسلات عديدة مع صديقه الوزير الغرناطى لسان الدين ابن الخطيب ،كما توجد له نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط لكتابه (الشهب اللامعه فى السياسة النافعة) وهو كتاب فى السياسة ونظم الحكم (١٧٣) ٠

وهناك الكاتب الأديب أبو عبد الله بن جزى الذى كان من أهم أعماله الأدبية التى آثارت أعجاب معاصريه من أهل المشرق والمغرب ، صياغته (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار) الذى وضع مستودته صديقه ابن بطوطة (١٧٤) ٠

كما عرف عصر بنى مرين من فنون الكتابة النثرية أيضا ما يعرف بالمناظرات الأدبية (١٧٥) ٠

واذا كانت حركة النثر عامة تميل الى شىء من التكلف الذى يكمن فى الاسهاب وذكر الألقاب السلطانية ، لاسيما فى الرسائل الديوانية الا آن النثر فى عصر بنى مرين كان يمتاز بروعة الأسلوب والمعنى ٠

الشعر :

احتضنت مدينة مراكش على عهد المرابطين والموحدين كثيرا من الشعراء الذين تزايد عددهم فى العهد الموحدى حتى غصت بهم عاصمة الموحدين ٠

---

(١٧٣) د٠ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢١٦ ٠ ٢١٧ ٠

(٧٤) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٦ ، د٠ احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ص ٢١٨ ٠

(١٧٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٥٥ ـ ٧١ ٠

وقد شغل الأندلسيين الشعراء ببلاط المرابطين مراكز حساسة منذ عهد يوسف بن تاشفين امثال : بن القصيرة(١٧٦) وابن الجد (١٧٧) وبن عبدون (١٧٨) وبن القبطرنه (١٧٩) وابن ابى الخصال (١٨٠) وغيرهم ومن الأمراء المرابطين الذين شجعوا الشعر والشعراء الأمير ابراهيم بن يوسف ابن تاشفين مما جعل الفتح بن خاقان أن يصنف كتابه المرسوم بـ (قلائد العقبان) (١٨١) ٠

ومن الشعراء الآندلسيين البارزين فى البلاط الموحدى أبو بكر بن عبد الجليل عبد الرحمن مجبر الأندلسى المرسى ، والذى من شعره يصف خيل المنصور الموحدى :(١٨٢)

له حلبة الخيل العتاق كأنها
نشاوى تهاوت تطلب العزف والقصفا

عرائس اغنتها الحجول عن الحلى
فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا

ومن أشهر الشعراء من أبناء المغرب والذين عملوا فى البلاط الموحدى أبو العباس أحمد الجراوى (١٨٣) أديب

(١٧٦) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

(١٧٧) المصدر السابق ص ١١٣ ـ ١١٩ ، ابن بسام : الذخيرة ق ٢٨٥/١٢ ـ ٣٢٢ ٠

(١٧٨) ابن خاقان : ص ١٥١ ـ ١٥٤ ، ابن بسام ق ٢ ج ٢ ص ٦٦٨ ـ ٧٢٧ ، المقرى جـ نفح الطيب جـ ٣ ص ٢٩٣ ـ ٤٥٤ ٠

(١٧٩) ابن خاقان قلائد العقيان ص ١٥٤ ـ ١٦١ ، ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ٢ ص ٧٥٣ ـ ٧٧٣ ٠

(١٨٠) ابن خاقان قلائد العقيان ص ١٨٢ ـ ١٨٨ ، ابن بسام : الذخيرة ق ٢ ج ٢ ص ٧٨٤ ـ ٨٠٩ ٠

(١٨١) ابن خلقان ص ٣ ٠

(١٨٢) المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ٠

(١٨٣) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٣٩ ٠

المغرب على الاطلاق فى زمانه الذى ابتدأ دراسته فى مدينة مراكش وأتمها فى الأندلس (١٨٥) ٠

وقد واصلت حركة الشعر تقدمها وازدهارها فى عصر بنى مرين فاحتشد فى ذلك العصر من أبناء المغرب عدد كبير من الشعراء ٠

الموشحات والأزجال :

كان من أهم مظاهر انتشار ازدواجية اللغة بين الاندلسيين أى اللغتين العربية والرومانسية (١٨٦) Romanco ابتكار فن شعبى اندلسى جديد هو فن الموشحات والأزجال ، وهو طراز شعرى مختلط ، تمتزج فيه مؤثرات شرقية وغربية ٠ ويقال أن مبتدع فن الموشحة ، شاعر ضرير من بلدة قبرة Cabra على بعد ثلاثين ميلا الى الجنوب الشرقى من قرطبة ، واسمه مقدم بن معافى القبرى ، وكان من شعراء الأمير الأموى عبد الله بن محمد فى أواخر القرن الثالث الهجرى (٩م) (١٨٧) ٠

ويعتبر هذا الفن الجديد ثورة فى الشعر العربى ، وحركة من حركات التجديد التى حررته من كثير من قواعد العروض الصارمة اذ يلاحظ فى الموشحة أنها لم تلتزم نظام القوافى الموحدة كالقصيدة الشعرية وانما اشتملت على قواف

---

(١٨٤) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص ٩٨ ـ ١٠٢ ، ابن عبد الملك المراكشى الذيل : ق ١ جـ ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، العباس بن ابراهيم : الاعلام جـ ٢ ص ٧١ ٠

(١٨٥) محمد الفاسى : الشاعر الكبير أبو العباس الجراوى مجلة رسالة المغرب العدد الخامس ١٩٤٣ ، ص ١١ ، ١٢ ، العدد السابع ١٩٤٣ ص ١١ ـ ١٣ ٠

(١٨٦) الرومانسية لهجة عامية مشتقة من اللاتينية ومنها تكونت اللغة الاسبانية ، ويسميها العرب الاعجمية أو العجمية أو اللاطينية ٠ (د٠ أحمد مختار العبادى) : الاسلام فى أرض الاندلس ٠ مجلة عالم الفكر ٠ المجلد العاشر ـ العدد الثانى ـ يوليو ـ أغسطس ـ سبتمبر ١٩٧٩ ص ٣٥٠ ٠

(١٨٧) د٠ أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٥٣ ٠

متعددة • كذلك لم تكن وحدتها البيت الشعرى وانما المقطوعة الشعرية التى تتكون من غصن وقفل ، أى أن الموشحة عبارة عن أغصان وأقفال ، ويسمى القفل الأخير منها بالخرجة • ومن شروط هذه الخرجة أن تكون اما باللغة الأعجمية ، أى الاسبانية ، أو باللغة العامية الدارجة كما يشترط فيها أن تكون حادة محرقة ، حارة منضجة ، على حد قول ابن سناء الملك •

كذلك جرت العادة أن تكون الخرجة على لسان فتاة تتغزل فى الفتى ، على عكس القصيدة العربية التى نجد فيها الرجل هو المحب بينما المرأة قاسية متكبرة معرضة فكان الوشاح يأخذ هذه العبارة الاسبانية أو العامية لتكون مركز الخرجة، ثم يبنى عليها بقية الموشحة ، فكأن الموشحة تبدأ من آخرها ، على عكس القصيدة الشعرية التى تهتم بمطلعها أى بالبيت الأول منها وفيما يلى مثال لهذا الغصن الأخير من الموشحة بما فيه الخرجة :

ليل طويل
ولا معين
ياقلب بعض الناس
لاتلين
أنا قول قوقو
ليس بالله تذوقو

والخرجة هنا اسبانية قوقو Cuco ومعناها الماكر • فالوشاح سمع من محبوبته هذه العبارة : أنا أقول أنت مكار ولن تذوق طعم قبلتى ، فاهتزت لها نفسه وجعلها مركزا أو خرجة لموشحته (١٨٨) •

(١٨٨) د• أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٥٤ •

ولاشك أن هذه الخرجات العامية أو الاعجمية ، الدليل الواضح على أنها نمط مختلف عن الشعر العربى التقليدى ٠ ومهما قيل من أن فن الموشح بدأ من قديم فى المشرق على شكل المسمطات المعروفة عند شعراء الجاهلية قبل الاسلام فان الشىء الثابت هو أن ذيوع هذا الفن بدأ فى الاندلس وانتشر من هناك منذ القرن الرابع الهجرى ٠

ومايقال عن الموشحات يقال أيضا عن فن الأزجال الذى انتشر بعد ذلك فى الاندلس فى القرن السادس الهجرى (١٢ م) ويلاحظ أن الموشحة والزجل فن شعرى واحد مع فارق أساسى هو أن الموشحة عربية صميما ماعدا الجزء الأخير منها وهو الخرجة ، فباللغة الاسبانية أو العامية الاندلسية ، أما لغة الأزجال كلها ، فهى اللغة العامية الدارجة الجارية على ألسنة عامة الناس فى البيوت والأسواق ، وتتخللها كلمات وعبارات من عجمية أهل الأندلس ، وممثل هذا اللون من الشعر الشعبى أى الازجال هو أبو بكر محمد بن قزمان القرطبى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى على عهد المرابطين وتوفى سنة ٥٥٤ هـ/١١٦٠ م وله ديوان أزجال كان يتغنى بها فى الأسواق والحفلات بمساعدة بعض الآلات الموسيقية وجوقة من المنشدين لترديد الخرجة أو المركز عقب كل فقرة ينشدها ٠ وتجدر الاشارة هنا الى أن الخرجة ليست شرطا من شروط الزجل كما هو الأمر فى الموشحات الاندلسية ، غير أن عددا كبيرا من الازجال القزمانية لها خرجات توفرت فيها كل شروط خرجة الموشحة (١٨٩) ٠

وطبيعى أن يسير أبناء المغرب من الشعراء ـ أو بعضهم على الاقل ـ فى نفس التيار الجديد لفن الموشحات والازجال ،

---

(١٨٩) د٠ احمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٥٤ ٠

تأثرا بتيار الشعر الاندلسى اعتبارا من الوحدة السياسية بين المغرب والاندلس فى عهد المرابطين حتى اذا بدأ عهد الموحدين كان من بين أبناء المغرب من اشتهر بالتوشيح والزجل ، مثل الشاعر ابن غزلة الذى كان معاصرا للخليفة عبد المؤمن ومحبا لابنته رسيلة الذى قال فيها موشحته التى مذهبها (١٩٠) :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى
صيدى الغزالا فى مراتع الاسد

كما أن رميلة ابنة عبد المؤمن كانت بدورها شاعرة فصيحة اللسان تنظم الأزجال الرائعة ومنها هذا الزجل الذى مطلعه (١٩١) :

مشى السهر حيران حتى رأى انسان عينى وقف

وفى خرجته تقول واصفة خالا بخد حبيبها : (١٩٢)

أسيمر جنسان فى شقة من نعمان قد التحف

ومن شعراء المغرب أيضا الذين لمع اسمهم فى سماء التوشيح فى العصر الموحدى الشاعر أبو حفص عمر السلمى الاغماتى المتوفى سنة ٦٠٣ هـ/١٢٠٦ م والذى كانت له موشحات يغنى بها فى الأقطار نذكر منها (١٩٣) :

حسانة رخيمة عانت منها البانة
والنقى الرجراج واشوقى لحسانه

---

(١٩٠) د. عباس الجرارى : الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدى . (الدار البيضاء ١٩٧٤) ص ١١١ .

(١٩١) د. عباس الجرارى : موشحات مغربية (الدار البيضاء ١٩٧٣) ص ١٤٧ .

(١٩٢) د. عباس الجرارى : الامير الشاعر ص ١١١ .

(١٩٣) ابن سعيد : الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة . تحقيق ابراهيم الابيارى (القاهرة ١٩٧٧ م) ص ٩٣ .

له أنظام بديعة ، وتآليف حسنة ،منها التوشيحات النبوية على حروف المعجم ، وقد عرف عنه أنه كان شاعرا رقيقا مطبوعا نافذ الذهن ، رشيق العبارة ، حلو الدعابة (١٩٤)٠

ومن الشعراء من امتاز بقريحة تتجاوب مع الاحداث والمناسبات ، فهناك مثلا لسان الدين بن الخطيب صاحب النونية المشهورة ، وهى القصيدة الطويلة التى تزيد على المائة بيت والتى مدح فيها السلطان أبا سالم المرينى حين فتح تلمسان والتى يقول فى مطلعها (١٩٥) ٠

أطاع لسانى فى مديحك احسانى
وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان

وتجدر الاشارة هنا الى أنه كان من بين سلاطين بنى مرين وأمرائهم شعراء موهوبون ينظمون كثيرا من الشعر ، وان كان الغالب على قصائدهم القصر ، ومن هؤلاء السلاطين أبو العباس أحمد المرينى الذى اعتلى عرش المغرب سنة ٧٨٩ هـ/١٣٨٧ م ومن شعره (١٩٦) ٠

ياعاذلى دع عنك عذل العاذل
واخلع عذارك فى الحبيب الواصل
واذا ذكرت عشية بمحاسن
فاذكر عشايانا بدار العادل

ولقد كان لسقوط معظم الامارات الاسلامية فى الاندلس ، وقع أليم فى نفوس المغاربة ٠٠ ملوكهم ،

(١٩٤) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ٩٩ ٠

(١٩٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ص ٣٢ ـ ٣٦ ٠

(١٩٦) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ١٦٦ ٠

وعلمائهم ، وأدبائهم ، فلا غرابة اذا وجدنا بعد ذلك شعراء المغرب يتناولون فى شعرهم هذه القضية ، ويعبئون الناس من أجل الدفاع عن المقدسات ٠٠ فهذا مالك بن المرحل ، ينظم قصيدة ، يدعو فيها المغاربة الى مساعدة اخوانهم الاندلسيين ، وهى قصيدة مؤثرة تحكى قصة الأمة الجريحة ومأساتها فى معالم دينها قال فى مطلعها (١٩٧) ٠

استنصر الدين بكم فأقدموا
فانكم ان تسلموه يسلم

لا تسلموا الاسلام يااخواننا
واسرجوا لنصره والجموا

كما كان للمعارك الحربية التى خاضها الجيش المرينى فى الساحة الاندلسية صداه فى الشعر فقد ذكر ابن الخطيب عدة أبيات لكاتب دولة بنى مرين أبى القاسم ابن رضوان النجارى المالقى فى مدح الاسطول المرينى (١٩٨) :

ولما استقامت بالزقاق أساطل له
واستقامت للسعود محاملا

رآها عدو الله وانفض جمعه
وأبصر امواج البحر أساطلا

ومن جندكم هبت عليه عواصف
تدمر آدناها الصلاب الجنادلا

---

(١٩٧) ابن أبى زرع : الذخيرة السنية ص ٩٨ ٠

(١٩٨) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٣ ص ٤٤٧ ، د٠ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٨٦ ٠

التـــاريخ :

تأثرت الكتابة التاريخية فى المغرب بالكتابة الاندلسية للتاريخ • وقد كان التاريخ الاندلسى فى مظهره وأســلوبه تاريخا عربيـــا اسلاميا ، يسلك مسلك المشـــارقة فى منهجه وروايته : فهناك طريقة الحوليات أى الكتـــابة على ترتيب السنين ، وهناك تواريخ الخلفاء والملوك التى تعالج دولة كل قطر منهم على حدة ، وهناك كتب التراجم والطبقات ومايتبعها من ذيول وصلات ، هذا الى جانب تواريخ المدن المحلية التى فاق الاندلسيون فيها اخوانهم المشارقة ، ولعل ذلك يرجع الى ظاهرة اللامركزية التى تميزت بها طبيعة الاندلس • كذلك اتبع الاندلسيون فى معالجة تاريخهم تلك الطرق التى اتبعها اخوانهم المشارقة أيضا والتى تقوم على النقل والاقتباس ، أو المشاهدة العينية، وتحرى الحقائق فى جمع المعلومات أو الاستعانة بالوثائق والمراسلات والآثار المادية ، أو على تحليل الأحداث والتعرف على عللها والنفاذ الى أسرارها (١٩٩) •

على أن أهم ماتميزت به الكتابة التاريخية فى الاندلس هو دقة الأخبار التى أوردها المؤرخون الاندلسيون عن الممالك المسيحية فى شمال أسبانيا وماوراءها ، ومعرفتهم التفصيلية الواسعة بأخبارها ، مما يدل على أنهم اطلعوا على مـــدونات لاتينية مسيحية قديمة ، أو أنهم استمدوا هذه الأخبار من أهـــل الذمة من النصـــارى واليهـــود المقيمين فى الاندلس والعارفين بأخبار هذه الممالك المسيحية التى فى الشـــمال ، وهو فى كلتا الحالتين أمر يدل على تأثر مؤرخينا الاندلســـيين بالثقافة اللاتينية المسيحية ، فضلا عن امكانية معرفتهم باللغة الأسبانية التى كانت شائعة بين معاصريهم من مسلمى الاندلس

---

(١٩٩) د• أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٥٦ •

وكان هذا أمرا طبيعيا بحكم الجوار والمعايشة بالاضافة الى ماعرف عن الاندلسيين من ولع شديد بعلم التاريخ ، الىدرجة أنهم كانوا يعتبرونه أنبل علم عندهم على حد قول ابن سعيد المغربى ، ولهذا أقبل الأندلسيون بدافع هذه الحاسة التاريخية الى تلمس الأخبار وتقصى الحقائق من مختلف مظانها اللاتينية واليونانية القديمة لمعرفة تاريخ وحضارة الامم المجاورة لهم منذ أقدم العصور (٢٠٠) ٠

وقد توافر عدد من المؤرخين الاندلسيين الذين عاشوا فى العصر المرابطى امثال : عبد الرحمن بن على الصقر الذى سكن مدينة مراكش وتوفى بها سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨ (٢٠١) حيث صنف عدة كتب تاريخية منها مختصر السير والمغازى من سير ابن اسحاق (٢٠٢) ومختصر تاريخ ابن جعفر الطبرى فى سفر متوسط (٢٠٣) ، ومنتخب سير المصطفى لأبى سعد عبد الملك بن محمد الخراسانى الواعظ (٢٠٤) وابى الحسن على بن بسام الشنتريني ، صاحب كتاب (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) المتوفى سنة ٥٤١ هـ/١١٤٦ م وكتابه هذا بين كتب التاريخ والأدب والقيمة الشهيرة فى عصرنا الحاضر ٠

ان هذا العمل العلمى الذى قام به هذا العالم لدليل على أن المصنفات التاريخية التى اضطلع بها الاندلسيون كانت متداولة بين آيدى الباحثين والدارسين المغاربة فى العهد المرابطى ٠

---

(٢٠٠) د٠ أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ٠ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ٠

(٢٠١) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ق ٢ ص ٤٠٩ ٠

(٢٠٢) العباس بن ابراهيم ، الاعلام جـ ٨ ص ٥٦ ٠

(٢٠٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ق ٢ ص ٤٠٩ ٠

(٢٠٤) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

ومن الاندلسيين الذين آرخو للدولة المرابطية يحي بن محمد بن يوسف الأنصارى الصيرفى المتوفى بغرناطة سنة ٥٥٧ هـ/١١٦١ م (٢٠٥) والذى صنف كتابه المسمى «الانوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية» (٢٠٦) وكتاب «قصص الانبياء وسياسة الرؤساء (٢٠٧) والمؤرخ الكبير ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة (٢٠٨) الذى فرغ من تأليفه سنة ٥٣٤ هـ (٢٠٩) /١١٣٩ م ·

اما فى العهد الموحدى فقد نشطت عملية التأليف التاريخى بين أبناء المغرب وظهر منهم عدد كبير وطبيعى أن تتأثر الكتابة التاريخية فى المغرب بالكتابة الأندلسية للتاريخ نظرا لاستاذية مؤرخى الأندلس لابناء العدوة المغربية وتداول كتبهم فيما بينهم · فنجد فى العصر الموحدى مجموعة من المؤلفات التاريخية الهامة يأتى فى مقدمتها : المعجب فى أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ، ونظم الجمان لابن القطان ، وتاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة (٢١٠) كما يظهر ميل المغاربة للكتابه فى تاريخ المدن المغربية متأثرين فى ذلك بمؤرخى الأندلس مثل كتاب القاضى ابى الخطاب سهل بن القاسم زغبوش المكناسى فى تاريخ

---

(٢٠٥) ابن سعيد : المغرب فى حل المغرب ج ٢ ص ١١٨ ، عبد الله كنون . النبوغ المغربى ج ١ ص ٧٣ ·

(٢٠٦) المقرى : نفح الطيب ٣/١٨١ ·

(٢٠٧) محمد عبد الله عنان عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، العصر الثالث ق ١ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ·

(٢٠٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء الزمان · تحقيق د· احسان عباس (بيروت ١٩٧٧) ج ٢ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ·

(٢٠٩) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٦٦٧ ، ابن خلكان : ج ٢ ص ٢٤٠ ·

(٢١٠) د· حسن على حسن : الحضارة الاسلامية ص ٥٠٣ ·

مدينة مكناس (٢١١) ، ومازال المغاربة الى يومنا هذا يميلون الى الكتابة فى تاريخ المدن ٠

وقد تميز عصر بنى مرين بأنه العصر الذى بدأ فيه معرفة مدلول ومفهوم علم التاريخ « اذ هو فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأولى ٠٠٠٠ وفى باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق » (٢١٢) ٠

وطبيعى أن تنشط حركة التأريخ مع هذا النضج الذى تصبح فيه العلل والكيفيات والأسباب والنتائج هى فقه التاريخ ، ولازال هذا التعريف يعتبر من أدق ما قيل فى هذا العلم ، وهو تعريف أعجب به وأشار اليه نفر من كبار المؤرخين فى الغرب (٢١٣) ٠

ولا شك فى أن سلاطين بنى مرين فى القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى كانوا يشجعون كتابة التاريخ ، اذ ليس من قبيل المصادفة أن تزدهر المدرسة التاريخية فى فاس فى ذلك الوقت ويصبح لسلاطين بنى مرين عدد من المؤرخين الرسميين ، ويحتشد العصر بعدد كبير من المؤرخين وكتاب السير والرحلات تألق منهم الكثير ، فهناك بن مرزوق الخطيب صاحب المسند الصحيح الحسن فى مآثر ابى الحسن ، ولسان الدين بن الخطيب صاحب الاحاطه فى أخبار غرناطة ، والجزنائى الذى وضع كتابه التاريخى الهام : (زهرة الآس فى تاريخ بناء مدينة فاس) وابن ابى زرع صاحب كتاب

---

(٢١١) محمد المنونى : العلوم والاداب ص ٦٩ ٠

(٢١٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٧ ٠

(٢١٣) د٠ حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس ، العدد الأول ١٩٧٤ م ، ص ٤٩ ٠

(الانيس المطرب) و (الذخيرة السنية) ، وبن عذارى المراكشى صاحب كتاب (البيان المغرب) ، واسماعيل بن الأحمر الذى رحل من الأندلس وعاش فى كنف بنى مرين، والذى من مؤلفاته (النفحة النسرينية واللمحة المرينية) ، و (روضة النسرين) ٠ وبن القنفد صاحب (الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية) ، (٢١٤) وبن عبد الملك المراكشى ، وهو من كتاب السير والتراجم ، وأبو عبد الله الزرعى السبتى فى أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم (٢١٥) ٠

ومن مؤرخى الحضارة الاسلامية أبو الحسن الخزاعى التلمسانى الذى ألف كتابه : (تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية) (٢١٦) وفى هذا الكتاب لم يترك أبو الحسن خطة ولا وظيفة ولا مرتبة ولا صناعة أو عملا آخر من أعمال المجتمع الاسلامى الا واثبت أصله فى الاسلام ودليله من السنة ، وعمل الخلفاء الراشدين وأول من باشر تلك الأعمال من الصحابة أو من ولاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ٠

ويضاف الى هؤلاء المؤرخين الرحالة ، فهناك محمد بن عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدرى الذى سافر الى الحجاز لأداء فريضة الحج فى سنة ٦٨٨ هـ ، واخترق المغرب الأقصى الى المغرب الأوسط وافريقية ثم اخترق ليبيا براحتى الاسكندرية ثم سلك الطريق البرى من مصر الى مكة المكرمة ، وكانت عودته الى المغرب عن طريق فلسطين ومصر

---

(٢١٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧٨ ٠

(٢١٥) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ج ١ ص ٢٠٩ ٠

(٢١٦) محمد الطمار : تاريخ الادب الجزائرى ــ الجزائر ١٩٦٩ م ، ص ٢٠٩ ٠

وليبيا ، وقد وصف العبدرى مدن المغرب ومصر وذكر آثارها ومعالمها واهتم بوجه خاص بالنواحى الثقافة والاجتماعية ، فذكر الخصائص البارزة فى سكان الأقاليم التى مر بها . وهناك أيضا من الرحاله المغاربة فى عصر بنى مرين آبو عمر عبد الله بن رشيد النوشريشى ، وبن رشيد السبتى الفهرى (٢١٧) .

على أن أهم هؤلاء الرحالة المغاربة واشهرهم هو ابن بطوطه وتسمى رحلته : تحفة النظار فى غرائب الأمطار وعجائب الأسفار (٢١٨) ، وقد ولد ابن بطوطة فى مدينة طنجة عام ٧٠٧ هـ/١٣٠٧ م وأقام بها حتى سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م وعندئذ قام بثلاث رحلات واسعة النطاق جاب فيها كثيرا من البلاد : الرحلة الأولى استغرقت ٢٤ سنة مر فيها بمراكش والجزائروتونس وطرابلس والمغرب ومصروفلسطين والشام والحجاز حيث حج حجته الأولى ثم رحل الى العراق وفارس والاناضول ثم الى الحجاز مرة أخرى ليحج حجته الثانية ، ومن الحجاز سافر الى اليمن وافريقيا الشرقية فالخليج الفارسى ثم الى مكة المكرمة حيث حج للمرة الثالثة ، وبعد ذلك اتجه الى الهند وخوارزم وتركستان وأفغانستان والسند والصين حتى عاد الى بلاد العرب عن طريق جزيرة سومطرة سنة ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م ، ثم زار بلاد العجم والعراق وسوريا وفلسطين ، ومنها الى بلاده مارا بمصر وتونس والجزائر حتى وصل فاس سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م . ولكنه لم يلبث أن قام برحلته الثانية فرحل الى الاندلس حيث

---

(٢١٧) د. السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب الاسكندرية ص ٢٢٦ – ٢٢٩ .

(٢١٨) د. حسنين محمد ربيع : محاضرات فى مناهج البحث فى التاريخ . مطبوعات كلية أداب القاهرة ١٩٧٤ م ص ٤٧ .

زار مالقة وغرناطة ثم عاد الى فاس حيث آوفده السلطان أبو عنان المرينى فى سفارة الى بلاد السودان الغربى فى أول سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢ م ، واستمرت رحلته الثالثة هذه مايقرب من عام (٢١٩) ، ثم بعد عودته الى فاس ، وفى بلاط السلطان المرينى أملى ابن بطوطة كتاب الرحلة (تحفة النظار) لمحمد بن جزى الكلبى باشارة من السلطان (٢٢٠) .

ولم تقف حركة التأريخ فى عصر بنى مرين عند هذا النشاط الذى تميز به هذا العصر فحسب ، وانما تعداه الى أمور أخرى فى غاية الأهمية . كان آولها : ظهور النهج الجديد فى الكتابة التاريخية ، وثانيها : التجديد فى فن (الاتوبيوجرافيا) Auto-Biographic وهو ترجمة المؤلف لنفسه ، وقد كان على رأس آبطال هذا السبق العلامة ابن خلدون الذى استطاع آن يجسد تلك التجديدات فى فن كتابة التاريخ فى كتابه (العبر ، وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) والذى جرت العادة باختصار اسمه فى كلمتى (كتاب العبر) ، وهناك آيضا لسان الدين بن الخطيب فى كتابه (الاحاطة فى أخبار غرناطة) (٢٢١) . ويتلخص هذا السبق فى ذلك النهج الذى اتبعه هؤلاء المؤرخون حيث عمدوا الى تقسيم مؤلفاتهم الى كتب ، وقسموا كل كتاب الى فصول متصلة ، تتبعوا فيها تاريخ كل دولة على حدة من البداية الى النهاية مع مراعاة نقط الوصل والتداخل بين مختلف الدول ، بينما كان نهج كثير ممن كتبوا التاريخ قبل ذلك هو الحرص على وضع مؤلفاتهم فى صورة جداول تاريخية مرتبة وفق

---

(٢١٩) د. حسنين محمد ربيع : محاضرات فى مناهج ص ٤٧ .

(٢٢٠) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٦ .

(٢٢١) د . على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

السنين ، وتجمع حوادث كل سنة فى جدول واحد على الرغم من تباعد مواطنها ، وعدم ارتباطها بعضها وبعض فجاء هذا النهج الجديد أقرب الى الدقة والتنسيق (٢٢٢) ٠

صحيح أن ابن خلدون ليس أول من ابتدع هذه الطريقة ، فقد سبقه اليها منذ القرنين الثالث والرابع عدد من المؤرخين كالواقدى ، والبلاذرى ، وابن عبدالحكم المصرى والمسعودى ، ولكن ابن خلدون يمتاز عن أسلافه ممن سلكوا هذا المنهج فى الكتابة التاريخية ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك ، كما يمتاز عنهم بالوضوح والدقة فى تبويب الموضوعات والفهارس وهذا مادعا المؤرخ الانجليزى (روبروت فلينت) أن يقول :

«اذا نظرنا الى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم ، وأما كواضع لنظريات فى التاريخ ، فانه منقطع النظير فى كل زمان ومكان» (٢٢٣) ٠

علم التصوف :

هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة فى الاسلام وأصله أن طريقة هؤلاء القوم مستمدة من السلف ومن سبقهم من الصحابة والتابعين ، وتتلخص فى العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه (٢٢٤) ٠ وقد عرف المغرب التصوف على عهد الموحدين ولكن فى نطاق ضيق بدأ انتشاره من مدينة سبته

---

(٢٢٢) د ٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٢٣٦ ٠

(٢٢٣) المرجع السابق : الصفحة ذاتها ٠

(٢٢٤) المرجع السابق : ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ٠

فقد ترسخ فى سبتة التفكير الصوفى بما كان لابن العريف من أصداء قوية نقلها عنه من شرق الأندلس صديقه القاضى عياض الذى كان يكاتبه فى العهد المرابطى . ويضم عصر بنى مرين عددا كبيرا من رجال التصوف المتضلعين فى مختلف العلوم والمعارف (٢٢٥) . ومن هؤلاء على سبيل المثال العالم المتصوف أبو زيد الهزميرى المتوفى سنة ٧٠٦ هـ/١٣٠٦ م والذى حسم خلافا وقع بين علماء فاس استمر ثلاثة أيام يجادل فيه العلماء ، ولولا علم وحكمة هذا العالم الصوفى لتصاعد الأمر واتسعت هوة الخلاف (٢٢٦) ومنهم أيضا محمد ابن موسى الحلفاوى المتوفى سنة ٧٥٨ هـ/١٣٥٦ م والذى كان حافظا للحديث ذاكرا للفقه باحثا فى مسائله (٢٢٧) .

ومن أشهر الصوفية فى عصر بنى مرين الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى اسحق بن ابراهيم بن أبى بكر بن عباد المتوفى سنة ٧٩٢ هـ/١٣٩٩ م (٢٢٨) والذى طلب العلم صغيرا وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم تعلم العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية ثم اتجه بعد ذلك فى طريق الصوفية (٢٢٩) ، ومن كلامه : «الاستئناس بالناس من علامات الافلاس ، وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس» (٢٣٠) . ومن كلامه أيضا : «من لازم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ، ولا خلص بسره الى فضاء مشاهدة

---

(٢٢٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٩٢ .

(٢٢٦) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

(٢٢٧) المصدر السابق ص ١٩٢ ، الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ، ص ٢٧٤ .

(٢٢٨) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤٢ .

(٢٢٩) المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ص ٣٤١ .

(٢٣٠) المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

الوجدانية ، فهو مسجون بمحيطاته ، ومحصور فى هيكل ذاته (٢٣١) .

ومن هؤلاء الصوفية أيضا يحى بن السراج المتوفى سنة ٨٠٥ هـ/١٤٠٢ م والذى انتهت اليه رئاسة الحديث فى وقته (٢٣٢) .

ومنهم أيضا أحمد بن سعيد الشهير (بالحباك) المتوفى سنة ٨٧٠ هـ/١٤٦٥ م والذى كان فقيها شاعرا نظم كثيرا من القصائد الشعرية فى التصوف (٢٣٣) .

ولما كان للمتصوفة فى عصر بنى مرين تلك المكانة العلمية فقد تولى كثير منهم بعض مناصب الدولة ، فكان من بين المتصوفة من تولى منصب القضاء كالحسن بن عثمان التيجانى (٢٣٤) ، ومحمد بن على الكزولى (٢٣٥) ، ومحمد ابن أحمد بن بكر بن يحى المقرى الذى كان قاضيا للجماعة بفاس ، وكانت له بعض الكتب التى وضعها فى التصوف ككتاب (اقامة المزيد ورحلة المتبتل) ، وكتاب (الحقائق والرقائق) (٢٣٦) .

ومن المتصوفة من تولى الامامة والخطابة ، كأبى عبد الله محمد بن ابراهيم الرندى الذى كان اماماوخطيبا بمسجد القرويين بفاس (٢٣٧) ، ومنهم أيضا من كان يقوم بمهمة

---

(٢٣١) المقرى : نفح الطيب ج ٥ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢٣٢) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢٣٣) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢٣٤) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢٣٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٣ .

(٢٣٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٤٠ .

(٢٣٧) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١٣٥ .

أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر مثل محمد بن موسى الحلفاوى الاشبيلى الذى كلفه السلطان أبو عنان بالضرب على أيدى العابثين والمعتدين (٢٣٨)

علم تعبير الرؤيا :

الرؤيا موجودة فى الجنس البشرى منذ القدم ، كما كان التعبير لها موجودا أيضا وفى القرآن الكريم اشارة الى ذلك ، حينما قص يوسف عليه السلام رؤياه على والده يعقوب عليه السلام ، وكذلك حينما كان يوسف عليه السلام يعبر الرؤيا لمن يقصها عليه ، وقد عرف تعبير الرؤيا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرفه الصحابة والسلف ـ لكنه لم يصبح علما ضمن العلوم الا بعد آن صارت العلوم صنائع (٢٣٩) .

ويبدو آن علم تعبير الرؤيا حتى عصر بنى مرين لم يكن من العلوم الهامة التى عكف على دراسته العلماء ، وتعتبر القوانين التى نقلت عن محمد بن سيرين هى المرجع الأساسى فى المغرب حتى نهاية عصر بنى مرين ، ومع ذلك فاننا نجد من علماء العصر من يضع كتبا فى هذا العلم مثل بن آبى طالب القيروانى . الذى وضع كتاب (الممتع) ، والشاطبى الذى وضع كتاب (الاشارة) (٢٤٠) .

---

(٢٣٨) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٣ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢٣٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٩ .

(٢٤٠) المصدر السابق : ص ٤٥١ .

ثانيا ـ العلوم العقلية

العلوم العقلية أو الحكمية فهى تلك العلوم التى يهتدى اليهـا الانســان بفكره ومــداركه البشرية (١) ، فالمعنى الدقيق لكلمة الحكمية هو أنها تعنى المنســوبة الى الحكمة ، وهى ترجمة عربية دقية لكلمة (الفلســفية) المأخوذة من اليونانية (٢) . Philosophié. Du grec : Philos : =Amiljet et Sophia Sagesse وتتفرع علوم كل صنف من هذين الصنفين الى علوم أخرى فرعية تتفرع بعضــها مرة آخرى الى فروع لفروع (٣) .

وقد اشتملت العلوم العقلية آو الحكمية على : علم المنطق وعلم الالاهيات (ماوراء الطبيعة) ، علم الطبيعيات ، وعلم التعاليم (الرياضيات) وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) (٤) .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ٤٠٠ .

(٢) د. على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون (سلسلة اعلام العرب) القاهرة ، ص ٣٠٦ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٦١ .

علم المنطق :

هو : «قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد فى الحدود المعرفة للماهيات ، والحجج المنيدة للتصديقات » (٥) ٠

ولم يلق علم المنطق حتى نهاية عصر بنى مرين اهتماما من علماء المغرب لذلك فقد كانوا لا يتداولون الا كتب المتأخرين : « وهجروا كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن ، وهى ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته » (٦) ٠

ومما يلاحظ أيضا على العلماء فيعصر بنى مرين أن من اهتم منهم بهذا العلم كان كضرورة لتناول علوم أخرى ، كالفلك والرياضيات مثل ابن البناء العددى الذى وضع عدة مؤلفات فى المنطق (الكليات فى المنطق) وشرح عليه ، و (القوانين) الذى ألفه لابن القاضى العمرانى ، وكتابه (الأصول والمقدمات) (٧) وطبيعى اذا كان هذا هو حال علم المنطق فى عصر بنى مرين فانه يكون الاعتماد على المختصرات لهذا العلم مثل (الموجز) و (المجمل) الذى فى قدر أربعة ورقات ، وكلا المختصرين كانا لكتاب (كشف الأسرار) لأفضل الدين الخونجى (٨) ٠ كما ورد ان المقرى الكبير كان من المشاركين فى الأصلين الجدل والمنطق (٩) ٠

علم الالاهيات :

هو : « علم ينظر فى الوجود المطلق » (١٠) ٠ وهو

---

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ٠

(٧) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ٠

(٨) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٣ ٠

(٩) ابن مريم : البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ٠ الجزائر ١٩٠٨ ص ١٥٥ ٠

(١٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٦ ٠

ما نسميه حاليا بالميتافيزيقا أى (ما وراء الطبيعة (١١)
Metaphysique-du grec : Metata Apres, et Phusika = Physique

وأول من عرف بالاشتغال بعلم الالاهيات فى الأندلس ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبى ت٣١٩ هـ/ ٩٣١ م وهو أول مفكر أصيل انجبته الأندلس ، وكان يستر آراءه وراء ستار من آراء المعتزلة والباطنية ، وتنعكس فى مذهبه الحقيقى آراء الافلاطونية الحديثة (١٢) ٠ وقوامها الأفكار التى قال بها فيلون الاسكندرى وأفلوطين وفرفوريوس الصورى وبروقلتيس ونسبت الى آنبذوقليس ، وتعتمد على وجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الألهيــة واعتبرت هــذه المادة أول صــورة برزت للعــالم العقــلى (١٣) ، واتهم بن مسرة بالزندقة ، فخرج فارا من الأندلس وتردد بالمشرق فترة اشتغل خلالها بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام ، ثم انصرف عائدا الى الأندلس (١٤) ٠ وخلف بن مسرة تلاميذ حملوا لواء آرائه من بعده بينهم رشيد ابن فتح الدجـــاج القرطبى ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م الذى اتهم بمذهب بن مسرة (١٥) ، والياس بن يوسف الطليطلى ، وخليل ابن عبد الملك (١٦) ، ومحمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيس (١٧) ٠

وأهم ماتميز به علم الالاهيات فى الاندلس وبغداد هو

---

(١١) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن خلدون ص ٣٠٨ ٠

(١٢) جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ٠

(١٣) نفس المرجع ، ونفس الصفحة ٠

(١٤) ابن الفرض : تاريخ علماء الاندلس قسم ٢ ص ٤٠ ترجمة رقم ١٢٠٤ ٠

(١٥) نفس المصدر قسم ١ ص ١٤٧ ترجمة رقم ٤٣٩ ٠

(١٦) احسان عباس : تاريخ الآدب الاندلس ٠ الدزء الثانى من المكتبة الاندلسية بيروت ١٩٦٠ ص ٥٢ ــ ٥٨ ٠

(١٧) د٠ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة ج ٢ ص ٢١٨ ٠

التوفيق بين العقيدة والعقل أو الدين والعلم ـ فكان أرسطاطاليس فى نظر علماء الالاهيات حقا وافلاطون حقا والقرآن الكريم حقا ، ولكن الحق يجب أن يكون واحدا ومن هنا ظهرت ضرورة التوفيق بين الثلاثة ولقد كان لما أضافوه المكان الأول اذا راعينا ماكان له أثر على التفكير العلمى والفلسفى (١٨) "

وبالرغم من أن علم الالاهيات لم يزدهر فى ظل حكم المرابطين باعتبار أن مجتمع المرابطين كان مجتمع الفقهاء والعلماء الذين يلتزمون بأحكام الدين ويتشددون فى تنفيذ مبادئه وتعاليمه (١٩) الا أنه كان يوجد فى عهد المرابطين بعض علماء الالاهيات والذى كان على رأسهم رجل من رجال البلاط المرابطى هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة (٢٠) المعروف عند الافرنج باسم Avenpace, Avempase الفيلسوف والعالم والطبيب والموسيقى وشارح أرسطو الذى ازدهر فى غرناطة وسرقسطة بالاندلس وتوفى فى فاس سنة ٥٣٣ هـ/١١٣٨ م (٢١) • ولقد كتب ابن باجة عدة مؤلفات فى الفلك انتقد فيها آراء بطليموس فمهد بذلك الطريق ، أمام ابن طفيل ، والبطروجى ، وكتب مؤلفات أخرى فى المادة الطبية ، التى نقل عنها ابن البيطار ، وله مؤلفات غير هذه فى الطب كان لهـا أثر قوى فى ابن رشد ، مثل كتابه اصلاح الأخلاق • ولكن أهم كتبه هو تدبير المتوحد ، والذى بين فيه كيف أن الانسان دون أى مساعدة فى طوقه أن يصل الى الاتحاد مع العقل الأول ، وتعليمه كيف

---

(١٨) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب (الكتاب الرابع ١٩٤٩) ص ٧٥٤ •

(١٩) د• حسن على حسن : الحضارة الاسلامية ص ٥٠٦ •

(٢٠) د• محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣٣٧ •

(٢١) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ص ٧٥٥ •

أن الكمال التدريجي للروح الانسانية عن طريق الاتصال بالملأ الأعلى هو غرض التفلسفة (٢٢) ٠

وقد احتضنت مراكش بعض علماء الالاهيات من الاندلسيين البارزين مثل ، مالك بن وهيب الذى شغل مناصب هامة فى البلاط المرابطى (٢٣) ٠ الا أنه عندما تحول الى مدينة مراكش تجنب ممارسة علم الالاهيات ، ولم يظهر من العلوم فيها الا ماكان ينسجم مع رغبات الحكام المرابطين (٢٤) ٠ الى أن توفى بمراكش سنة ٥٢٥ هـ/١١٣٠ م (٢٥) ثم ازدهر علم الالاهيات فى عصر الموحدين وانطلق من عقاله كنتيجة طبيعية للتحرر الفكرى ، ومحاربة الجمود العقلى الذى دعت اليه دعوة ابن تومرت فازدان البلاط الموحدى بكبار فلاسفة الاندلس ،كان من أهمها شخصيتان كانتا تمثلان قمة فلاسفة العرب والمسلمين ممن كان لهما أبلغ الأثر فى دفع عجلة حركة ذلك العلم ٠ وهما : أولا ـ أبو بكر بن طفيل ، محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد طفيل القيسى (٢٦) الذى ولد حوالى سنة ٤٩٤ هـ/١١٠٠ م بالاندلس (٢٧) ، وتوفى بمراكش سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م وحضر المنصور الموحدى تشييع جنازته (٢٨) ٠

---

(٢٢) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ص ٧٥٥ ، ٧٥٩ ٠

(٢٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٤٩ ، ٥٠ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ٤٧٩، ٤٨٠ ٠

(٢٤) المراكشى : المعجب ص ١٨٥ ٠

(٢٥) ابن بشكوال : الصلة جـ ٢ ص ٦٢١ ٠

(٢٦) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ٤٧٨ ، دائرة المعارف ، المجلد الأول العدد الرابع ، ص ٢١٢ ـ ٢٢٦ ٠

(٢٧) العباس بن ابراهيم : الاعلام جـ ٤ ص ١١٧ ٠

(٢٨) ابن الابار : المقتضب ص ٧١ ، ابن الخطيب : الاحاطة جـ ٢ ص ٤٨٢ ٠

ويبدو أن منصب ابن طفيل كطبيب خاص ليوسف بن عبد المؤمن الذى خصص له راتبا شهريا (٢٩) قد هيأ له فرصة للتفرغ العلمى والانصراف للتأليف والبحث والاشراف على المؤسسات العلمية الموحدية فى مراكش لرفع مستواها العلمى ومما يؤكد ماذهب اليه الباحث أن ابن طفيل كان ينتقى خيرة العلماء من الأقطار التابعة للموحدين اداريا ويشير على يوسف بن عبد المؤمن باستقدامهم واكرامهم بقيمة الاستفادة منهم فى العمل بالمؤسسات العلمية بالعاصمة الموحدية (٣٠) .

ولقد كان ابن طفيل موسوعة علمية فالى جانب كونه طبيبا حاذقا (٣١) وفيلسوفا متحققا بجميع أنواع الفلسفة (٣٢) الذى بذل فيها جهدا كبيرا فى سبيل التوفيق بينها وبين الشريعة (٣٣) مصنف عدة مصنفات فى علوم مختلفة (٣٤) ولم يصل منها الى أيدى الباحثين والدارسين فى الوقت الحاضر غير رسالة (حى بن يقظان) (٣٥) وهى تلخيص فلسفى لأسرار الطبيعة والخليقة (٣٦) .

ثانيا : أبو الوليد ، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد الحفيد (٣٧) الذى

---

(٢٩) المراكشى : المعجب ص ٢٤٠ .

(٣٠) المصدر السابق ص ٢٣٩ ، ٢٤٢ .

(٣١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ٨٥ ، ابن عبد الملك المراكشى : الذيل جـ ٦ ص ٤٠٧ ، المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ١٩٣ .

(٣٢) المراكشى : المعجب ص ٢٤٠ .

(٣٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ، محى الدين عزوز : التطور المذهبى بالمغرب ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٣٥) عبد العباس ابراهيم حمادى : الحركة الفكرية ص ٣٦٦ .

(٣٦) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣٧) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل جـ ٦ ص ٢١ .

ولد في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م (٣٨) من عائلة عرفت باهتمامها بالقضايا العلمية والبحث والدراسة وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ/١١٩٨م (٣٩) اتصل بالبلاط الموحدى عن طريق أستاذه أبى بكر بن طفيل الذى أشار على يوسف بن عبد المؤمن باستدعائه من الاندلس الى العاصمة الموحدية (٤٠) ثم طلب منه بعد ذلك يوسف بن عبد المؤمن أن يقوم بشرح فلسفة أرسطو وتبسيطها (٤١) ٠

وقد نهض بهذه المهمة التى جعلته من أبعد فلاسفة العرب صيتا وأعظمهم تأثيرا ٠ وقد حظى ابن رشد بعد وفاة يوسف ابن عبد المؤمن عند ابنه يعقوب المنصور الموحدى بمكانة رفيعة حيث خصص المنصور له مكانا فى مجلسه الى جانبه وذلك سنة ٥٩١ هـ/١١٩٤ م (٤٢) ٠

ويبدو أن تناول هذا العلم لم يحظ باهتمام علماء المغرب فى عصر بنى مرين وربما كان ذلك لما واجهته الفلسفة فى عصر بنى مرين من عدم ارتياح عند السلطات الحاكمة . وذلك بعكس ماواجهته باقى العلوم الأخرى من تشجيع . ويذكر ابن الخطيب أن أحمد بن محمد بن شعيب الكرباتى قد مقت بسبب اشتغاله بهذا العلم (٤٣) ٠

وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم بهذا العلم فى عصر بنى مرين عدد من العلماء ووضعوا فيه عدة تآليف ومن هؤلاء

---

(٣٨) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٣٢٠ ٠

(٣٩) الضبى : بغية الملتمس ص ٥٤ ٠

(٤٠) المراكشى : المعجب ص ٢٤٣ ٠

(٤١) المصدر السابق : ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ٠

(٤٢) ابن أبى اصيبعية : عيون الانباء جـ ٢ ص ٧٦ ٠

(٤٣) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ ١ ص ٢٧٢ ٠

محمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسى المتوفى سنة ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م وهو الذى اختصر المقدمات لابن رشد ،ومن مؤلفاته التى وضعها فى هذا العلم (الأسئلة والأجوبة) ، واختصار (الحدود للشيرازى) (٤٤) ·

ومن هؤلاء العلماء أيضا الذين اهتموا بعلم الالاهيات ابن البناء العددى الذى وضع كتاب : (مراسم الطريقة فى علم الحقيقة) كما أن له شرحا على هـذا الكتاب ومقـالات أربع (٤٥) ·

الطبيعيات :

«هو علم يبحث عن الجسم من جهة مايلحقه من الحـركة والسكون ، فينظر فى الأجسام السماوية والعنصرية ومايتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن ومايتكون فى الأرض من العيون والزلازل ، وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك ، وفى مبدأ الحركة للأجسام وهو النفس على تنوعها فى الانسان والحيوان والنبات» (٤٦) ·

وهكذا فان هذا العلم كان يشـتمل عـلى علوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا (طبقات الأرض) والبيولوجيا (علم الحياة) ، وعلوم الاحياء (علم الانسان وعلم الحيـوان وعلم النبات) ، والفيزيولوجيا (وظائف الأعضاء) والميتيورولوجيا (علم الجو) ، كما كان من فروع الطبيعيات أيضـا فى ذلك الوقت علم الطب والدواء ·

---

(٤٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٧ ، الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ · ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ·

(٤٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧٦ ، ٧٧ ·

(٤٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٤ ·

وبالرغم من أن الكتب التى كان يتداولها علماء الطبيميات فى المغرب كثيرة الا أن المعتبرة ، والتى كان يعتمد عليها أهل هذا العلم هى التى وضعها ابن رشد ولخص فيها كتب أرسطو وشرحها متبعا غير مخالف (٤٧) . وكتاب ابن بشرون فى الكيمياء وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجريطى شيخ الاندلس فى هذا العلم .

الطب :

اعتمد أطباء الاندلس بادىء الأمر على كتاب يطلق عليه «الابريشم» Aphorismi ومناه المجموع ، أو الجامع (٤٨) .

ثم تطور العلم على غرار طب المشرق ، غير آن علماء الطب ومشتغليه فى الاندلس آولوا الجراحة الطبية عنايتهم الخاصة من دون فروع الطب الأخرى (٤٩) . فازدهر هذا العلم على يد يونس بن أحمد الحرانى ، الذى وفد من المشرق سنة ٢٣٧ هـ/٨٥٢ م ، ويقول عنه صاعد الطبقى : «كانت عنده مجريات حسان فى الطب ، واشتهر بقرطبة (٥٠) .

وقد أخذ عنه كثيرون ، كان على رأسهم آيناه أحمد وعمر ، حيث امتاز الأول بالخبرة فى تحضير الأدوية ، واشتهر الثانى بالكحالة ، والذى يبدو انه يرجع اليه الفضل فى تأسيس مدرسة طب العيون فى الاندلس فهو الذى تتلمذ على يديه أبو القاسم خلف الزهراوى حيث اخذ عنه طريقة

---

(٤٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٤ .

(٤٨) ابن جلجل : طبقات الاطباء ، تحقيق . فؤاد سيد (القاهرة ١٩٥٥) ص ٩٢ .

(٤٩) سوادى عبد محمد : تأثر الفكر الاندلسى بالحركة العلمية فى المشرق الاسلامى . مقال بمجلة عالم الفكر . المجلد الثالث عشر . العدد الثانى . يوليو ـ أغسطس ـ سبتمبر ١٩٨٢ ، ص ٦٥٣ .

(٥٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ج ٢ ص ٤٢ .

استخراج ماء العين (الكتاراكتا) بواسطة الابرة ، والذى ذاع صيته بين أهل المشرق والمغرب على السواء بالبراعة فى الجراحة الطبية (٥١) وأشار أبو القاسم صاعد بن أحمد الاندلسى الى ان أحمد وعمر رحلا الى المشرق واقاما هناك عشرة أعوام ودخلا بغداد وقرآ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابى ثم عاد بعد خمسة عشر عاما سنة ٣٥١ هـ/٩٦٢ م الى الاندلس فاستخلصهما الأمير الحكم المستنصر لخدمته فى الطب • وقد خلف أحمد فى قرطبة آثارا نفسية (٥٢) وأضاف ابن أبى أصيبعة أن أحمد بن يونس الحرانى كان : « عاقلا عالما بما شاهد علاجه رآه عيانا بالمشرق (٥٣) •

ولقد كان لأطباء الاندلس الذين احتشد بهم بلاط المرابطين والموحدين أثره الواضح فى تطور الطب وازدهاره بالمغرب على يد هؤلاء الأطباء الاندلسيين والذى قلد بعضهم مناصب وزارية فى كل من الدولتين المرابطية والموحدية (٥٤) • وكانت لهم مصنفات طبية منها ما يتعلق بالأمراض الغالبة الانتشار فى المغرب والأدوية المناسبة لها (٥٥) •

ومن أهم هؤلاء الأطباء الاندلسيين الذين عملوا بالطب فى المغرب على عهد المرابطين : أبو العلاء زهر بن أبى مروان عبد الملك بن محمد ابن مروان (٥٦) ، والذى توجه للعمل

---

(٥١) سوادى عبد محمد : تأثر الفكر الاندلسى ص ٦٥٣ •

(٥٢) صاعد الطبقى : طبقات الامم ، نشر محمود صبح (القاهرة) ، ص ١٢٤ •

(٥٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٤٦ •

(٥٤) المراكشى : لمعجب ص ٢٤٠ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٦٦ •

(٥٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٦٧ ، عبد العزيز بن عبد الله : الطب والاطباء بالمغرب (الرباط ١٩٥٦) ص ٢٤ •

(٥٦) ابن بسام : الذخيرة قسم ٢ جـ ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٦٤ •

فى البلاط المرابطى بدعوة سن يوسف ابن تاشفين (٥٧) وبعد وفاة يوسف بن تاشفين بقى آبو العلاء زهر طبيبا لأبنه وهو الذى استوزه (٥٨) .

ولأبى العلاء تصانيف كثيرة فى الطب منها كتاب « الأدوية المفردة » وكتاب « الايضاح بشواهد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان » (٥٩) . وتوفى بالاندلس سنة ٥٢٥ هـ/١١٣٠ م (٦٠) .

ولقد عمل بالبلاط المرابطى أطباء أندلسيون كثير أما عن الذين عمل منهم فى البلاط الموحدى فكثير جدا ومن آشهرهم :

أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر بن أبى مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر (٦١) خدم فى بلاط الدولتين المرابطية والموحدية (٦٢) واستدعاه الى مراكش عبد المؤمن بن على واتخذه طبيبا خاصا وجعل اعتماده عليه فى الطب وحباه من الأنعام والعطاء (٦٣) ، ولم يكن فى زمانه من يفوقه فى مهنتة (٦٤) فقد كانت لديه ابتكارات وطرق لطيفة فى معالجة المرضى (٦٥) وصنف كتبا طبية

---

(٥٧) عبد العزيز بن عبد الله : لطب والأطباء ص ٢٢ .

(٥٨) العباس بن ابراهيم : الاعلام جـ ٣ ص ٢٥١ .

(٥٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٦٦ .

(٦٠) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٨٥ .

(٦١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٦٦ .

(٦٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٦٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٦٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٦٥) غوستاف لوبون : حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر ، وعيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ص ٤٩٤ .

كثيرة (٦٦) ٠ كانت مشهورة ومتداولة بين ايدى الناس في المغرب والاندلس (٦٧) ، ودرس الطب بالعاصمة المرابطية والموحدية (٦٨) ومن بين الذين تتلمذوا على يده فى العلم المذكور أبو الحكم بن غلنده (٦٩) الذى أصبح طبيبا فى البلاط الموحدى فيما بعد (٧٠) وتوفى أبو مروان عبد الملك ابن أبى العلاء بمدينة أشبيلية سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م (٧١)٠

ومن الأطباء الآخرين الذين لمعوا فى العاصمة الموحدية أبو بكر محمد ابن أبى مروان بن أبى العلاء بن زهر (٧٢) ومحمد بن على بن سليمان بن رفاعة الجزامى (٧٣) وأبو جعفر الذهبى أحمد بن جرح (٧٤) ، ومن الطبيبات اللواتى اشتغلن بمراكش فى العهد الموحدى اخت الحفيد أبى بكر بن زهر وابنتها (٧٥) فقد كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بأمراض النساء (٧٦)٠ومن خلال ماتقدم يمكن تصور مدى الجهود الضخمة للأطباء الأندلسيين الذين عملوا بمدينة مراكش على عهد الدولتين المرابطين والموحدية فقد بذلوا جهودا جبارة فى مجال اختصاصهم سواء على صعيد التصدى لتطبيب الجماهير المغربية أم تصنيف الكتب أو تدريب الطلبة وتدريسهم أو فى مجال قدرتهم على اجراء

---

(٦٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ٠
(٦٧) العباس بن ابراهيم : الاعلام ج ٨ ص ٣٥٥ ٠
(٦٨) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة قسم ١ ، ج ٥ ص ١٩ ٠
(٦٩) العباس بن ابراهيم : الاعلام ج ٨ ص ٢٥٥ ٠
(٧٠) ابن الابار : المقتضب ص ٧١ ، ٧٢ ٠
(٧١) ابن العماد الحنبلى : ج ٤ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ٠
(٧٢) ابن أبى أصيبعة عيون الانبا : ج ٢ ص ٦٧ – ٧٣ ٠
(٧٣) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ ٠
(٧٤) ابن أبى أصيبعة : ج ص ٨١ ٠
(٧٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٧ ، ٧٠ ٠
(٧٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٠ ٠

التجاوب العلمية واستنباط النتائج الطبية (٧٧) . كما كان لخلفاء الموحدين بيت للأشربة والمعاجين الطبية (٧٨) .

وقد واصل الطب تقدمه وازدهاره في عصر بني مرين ومن الأطباء الذين برزوا في هذا العلم أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بابن شعيب المتوفى سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م (٧٩) وقد تتلمذ ابن شعيب على يد يعقوب الدارس بتونس وأخذ عنه الطب والهيئة ، وسافر الى غرناطة حيث قام بدراسة واسعة عن تغيير الأدوية المنفردة (٨٠) .

ومنهم أيضا محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ/١٣٦٦ م (٨١) .

ولايفوتنا قبل أن ننتقل الى الحديث عن الطب أن نثبت لابن خلدون هذا السبق في موضوع ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض ، فقد ذهب في هذا الموضوع مذهبا سبق به دارون Darwin ، وجماعة الارتقائيين Evolutionnistes فيما يقررونه بشأن ارتقاء الأنواع وانشعاب أعلاها من أدناها (٨٢) .

ومن الاندلسيين الذين عملوا بالطب في العاصمة المرينية فاس محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي ، وقد رحل هذا الطبيب الى فاس ومن المؤلفات الطبية المشهورة في عصر بني مرين الكتاب الذي ألفه ابن الخطيب بعنوان : (عمل من

(٧٧) عبد العباس ابراهيم حمادي : الحركة الفكرية ص ٣٨٩ .

(٧٨) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٧٣ .

(٧٩) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٨٠) ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ج ١ ص ٢٧٢ ، ٢٧٧ .

(٨١) الكتاني : سلوة الاقتباس ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٨٢) د. علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون ص ٣١٦ ـ ٣٢٠ .

طب لمن حب) وهو مؤلف طبى كبير تنـاول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وأعراضه وطرق علاجه وتحويطاته ونظام الغذاء الذى يناسبه ، كما تحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم ، وطرق العناية بها ، وذكر ابن الخطيب فى مقدمة الكتاب أنه لم يجد لخدمة ابى سالم المرينى أفضل من الطب فألف له هذا الكتاب تعبيرا عن حبه له (٨٣)٠

علم التعاليم :

ويتفرع عنه : العلوم الهندسية ، والعلوم العـددية ، والموسيقى ، وعلم الهيئة (الفلك) والذى يتفرع منـه علم التنجيم وعلم السحر والطلسمات (٨٤) ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن علم الهيئة الذى كان يعد فرعا من فروع علم التعاليم أنه فى اصطلاحنا الحديث يعد فرعا من فروع العلوم الطبيعية (٨٥) ٠

العلوم الهندسية :

هى «النظر فى المقادير ، أما المتصلة كالخط والسـطح والجسم ، واما المنفصلة كالاعـداد فيما يعـرض لهـا من العوارض الذاتية (أى فيما يتصل بقوانينها) : مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ، ومثـل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان» (٨٦) ٠ وللعـلم

---

(٨٣) ابن الخطيب : عمل من طب لمن حب : مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهـد المخطوطات بجامعة الدول العربية ٠

(٨٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٢ ٠

(٨٥) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ٠ هامش ص ٣٠٦ ٠

(٨٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٨ ٠

أربعة فروع وهى : الهندسة العامة ، والهندسة المخصوصة بالأشـكال الكروية ، والمخـروطات وفن مساحة الأرض ، والمناظر والذى يبن به أسـباب الغلط فى الادراك البصرى بمعـرفة كيفية وقوعها بنـاء عـلى أن ادراك البصر يكون بمخروط شعاعى رأسه يقطع الباصر وقاعدته المرئى ، ثم يقع الغلط كثيرا فى رؤية القريب كبيرا والبعيد صـغيرا ، وكذا رؤية الأشـباح الصـغيرة تحت الماء ووراء الأجسـام الشفافة كبيرة ، ورؤية النقط النـازلة من المطـر خطـا مستقيما ، والشعلة دائرة وأمثال ذلك ، فيتبين فى هذا أسباب وكيفياته بالبراهين الهندسة» (٨٧) ٠

العلوم العددية :

وهى ستة فروع ، (الارتماطيقى Arithmetique) وهو معرفة خواص الأعداء من حيث التأليف اما على التوالى او بالتضعيف (٨٨) وهو مانسميه الآن بحساب المتواليات (٨٩) وهو مانسميه الآن بحساب المتواليات (٨٩) ، (والحساب) وهو «صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق» (٩٠) وكان الحساب فى اصطلاح عصر بنى مـرين مقصـورا على القواعد الأربع والكسور والجذور (٩١) ، أما (الجبر) فهو : «صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضى ذلك» (٩٢) ٠ و (المعاملات) :

---

(٨٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٩ ٠

(٨٨) المصدر السابق ص ٤٥٥ ٠

(٨٩) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٣٢١ ٠

(٩٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٥ ٠

(٩١) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٣٢١ ٩

(٩٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٦ ٠

«تصريف الحساب فى معاملات المدن فى البياعات والمساحات والزكوات وسائر مايعرض فيه العدد من المعاملات فى المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها» (٩٣) وهو مانسميه الآن تمرينات ومسائل على قواعد الحساب (٩٤) ، و (الفرائض) وهى «صناعة حسابية فى تحديد السهام لذوى الفروض فى الميراث» (٩٥) ٠

ويطلق علم الارتماطيقى الآن على جميع الفروع الستة للعلوم العددية ماعدا الجبر (٩٦) ٠

وقد عرفت الاندلس علوم التعاليم مبكرة ، وذلك لارتباطها بالعلوم الدينية وتطبيق الشريعة ، مثل تقسيم المواريث ومعرفة اتجاه القبلة ٠٠ الخ على أن بداية نهضة هذه العلوم فى الأندلس ، كانت بالتحديد على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٩٧) ٠

وأول من برز فى هذا المجال هو أبو عبيدة بن مسلم بن أحمد بن أبى عبيدة البلنسى ،المتوفى ٢٩٥ هـ/٩٠٧م(٩٨)٠

وفى عصر الخلافة فى الاندلس تطورت التعاليم تطورا ضخما ، ولعب الحكم المستنصر دورا كبيرا فى تشجيعها (٩٩)، وبرز أبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمجريطى ، المتوفى ٣٩٨ هـ/١٠٠٧ م ٠ فقد كان امام التعاليم فى

---

(٩٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٧

(٩٤) د٠ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ص ٣٢٢ ٠

(٩٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٧ ٠

(٩٦) د٠ عى عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون هامش ص ٣٢١ ٠

(٩٧) د٠ محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ٠

(٩٨) صاعد الطبقى : طبقات الامم ، ص ٨٦ ، ٨٧ ٠

(٩٩) المصدر السابق ص ٨٨ ٠

الاندلس فى وقته (١٠٠) ، وترك فى الاندلس مايمكن أن نسميه بمدرسة المجريطى فى التعاليم (١٠١) ·

ومن هؤلاء من مال أكثر ، الى دراسة علم الهيئة ، مثل محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن البرغوث المتوفى ٤٤٤ هـ/١٠٥٢م (١٠٢) ، وابراهيم بن حبيب أبو اسحق المعروف بولد الزرقيال الاندلسى المتوفى ٤٩٣ هـ/١١٠٠ م (١٠٣) ·

ومما تجدر الاشارة اليه هنا آن الاندلسيين طوروا قليلا الأرقام التى استعملها عرب الاندلس فى البداية لتكون 0. 9. 8. 7. 6. 5. 4. 3. 2. 1. وقد انتقلت الى المغرب ، وذاع انتشارها عن طريق الاندلس (١٠٤) مع انتشار الحركة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين والموحدين · وبهذه المناسبة ننوه بأن المغاربة لايزالون الىوقتنا الحاضر يستعملون هذه الأرقام ·

ومن الشخصيات الأندلسية التى تدين لها المغرب بنشر علوم التعاليم بين أبنائها على عهد الموحدين : آحمد بن ابراهيم بن على بن منعم العبدرى (١٠٥) الذى سكن العاصمة الموحدية وتصدى لتدريس العلوم المذكورة بالقبة المنصورية

---

(١٠٠) صاعد الطبقى : طبقات الامم ، ص ٩٢ ، القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ص ٣٢٦ ·

(١٠١) د· محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ص ٣٣٤ ·

(١٠٢) صاعد الطبقى : طبقات الأمم ص ٩٥ ·

(١٠٣) القفطى : أخبار العلماء ، ص ٥٧ ، د· محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم ، ص ٣٢٥ ·

(١٠٤) عبد الحميد لطفى ، وأحمد أبو العباس : تاريخ الرياضيات (القاهرة ١٩٥٥) ص ٦٢ ·

(١٠٥) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة جـ ٦ ص ٥٩ ·

ازاء جامع المنصور الموحدى (١٠٦) فأخذ عنه كثير من أبناء العاصمة الموحدية وغيرهم الى آن توفى بهسا سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م وقد صنف تصانيف جليلة فى علوم التعاليم منها : فقه الحساب وتجريد آخبار كتب الهندسة على اختلاف مقاصدها وغيرها وكان من كثرة شغفه بهذا اللون من العلوم لاينام فى كل ليلة حتى يستظهر كتاب الأركان لاقليدس اضافة الى ذلك أنه كان طبيبا أيضا (١٠٧) ٠

ومن الشخصيات العلمية المغربية التى أسهمت فى هذا العلم بدور كبير عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين (١٠٨) الذى أكمل دراسته بمدينة أشبيلية وصار من الأعلام فى علوم كثيرة (١٠٩) كعلم الأدب والرياضيات (١١٠) وترك أرجوزتين احداهما فى علم الجبر والمقابلة خلدت اسمه (١١١) ٠

وقد نشطت العلوم الهندسية بصفة عامة فى عصر بنى مرين نظرا للنهضة العمرانية التى شهدتها بلاد المغرب ، وتقدمت تبعا لذلك الآلات والاجهزة الهندسية كالاسطرلابات والساعات ، والتى كان الاعتماد فيها على علم جر الأثقال أو الميكانيكا (١١٢) ٠

ومن الذين برزوا فى العلوم الهندسية فى عصر بنى

---

(١٠٦) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٦ ص ٥٩ ، ٦٠ ٠

(١٠٧) نفس المصدر ونفس الصفحات ٠

(١٠٨) العباس بن ابراهيم : الاعلام ج ٨ ص ٢٠٤ ٠

(١٠٩) ابن سعيد : الغصون اليانعة ص ٤٢ ٠

(١١٠) ابن القاضى : جذرة الاقتباس قسم ٢ ص ٤٢٣ ٠

(١١١) عبد العباس ابراهيم محادى : الحركة الفكرية ص ٣٩٦ ٠

(١١٢) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٩٢ ٠

مرين محمد بن على بن عبد الله بن الحاج المتوفى سنة ٧١٤ هـ/١٣١٤ م وهو من الذين وفدوا الى المغرب من أشبيلية وكان بارعا فى الحيل الهندسية ، ونقل الاجرام ، ورفع الأثقال ، لذلك فقد أسند اليه الاشراف على بناء دار الصناعة البحرية بمدينة سلا (١١٣) .

وقد نبغ فى العلوم العددية فى عصر بنى مرين عدد كبير من العلماء نذكر منهم على سبيل المثال محمد بن الشيخ الكبير الذى برع فى علم الحساب (١١٤) وبن البناء العددى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م الذى وضع كتاب (التلخيص فى علم الحساب ورفع الحجاب عليه) (١١٥) .

ومن هؤلاء أيضا أح
سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠ م و
الحساب (١١٦) .

الموسيقى :

هى : « معرفة نسب ا
وتقديرها بالعدد وثمرته

ويبدو أن كتاب «أبو
المرجع الأساسى للموسيقى
متكون من جملة أسفار فى علم الموسيقى (١١٨)

---

(١١٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٨٠ .

(١١٤) الكتانى : سلوة الانفاس جـ ٣ ص ٢٢٣ .

(١١٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧٦ ، ٧٧ .

(١١٦) المصدر السابق : ص ٥٧ .

(١١٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٢ .

(١١٨) عباس الجوارى : أثر الأندلس على أوربا فى مجال النغم والايقاع . مقال منشور بمجلة عالم الفكر الثانى عشر العدد الأول ابريل - مايو - يونية ١٩٨١ ص ٢٠ .

يبدو ان موسيقى اهل الأندلس فى بادىء الأمر ، كانت اما بطريقة حداة العرب ، واما بالطريقة الشعبية للنصارى التى كانت منتشرة فى اسبانيا آيام الفتح الاسلامى لها ، وفى الحالتين لم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه (١١٩) ٠

لكن اتيح للموسيقى فى الأندلس آن تشهد تطورا كبيرا وكان أول من دخل الأندلس من المشرق من الموسيقيين ، علون وزقون ، دخلا فى ايام الحكم بن هشام ، وكانا محسنين (١٢٠) ٠

ويعتبر زرياب صاحب مدرسة تميزت باسلوب خاص فى التلقين والتعليم ٠وربما كانت من اهم الأعمال التى ارتبطت به فى الأندلس تغييره لمضراب العود واضافته وترا خامسا له ٠ اما المضراب فقد اخترعه « من قوام النسر معتاضا به من مرهف الخشب فابرع فى ذلك للطف قشر الريشه ونقائه وخفته على الأصابع وطول سلامة الوتر على كثر ملازمته اياه (١٢١) ٠

ويبدو ان هذا الوتر الذى اضافه زرياب للوسط لم يكن له تأثير بنيوى بقدر ما كان له آثر تنغيمى يتجلى فى تلوين العزف ، الا ان التفكير فيه كان سابقا لعمل زرياب فى المشرق على تثبت المؤلفات الموسيقية القديمة (١) ٠

اما ابو بكر بن باجة توفى ٥٢٢ هـ/١١٢٨ م فبالاضافة

---

(١١٩) عباس الجرارى : أثر الأندلس على أوربا ص ٢٠ ٠

(١٢٠) المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٣٠ ٠

(١٢١) المصدر السابق ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ٠

(١٢٢) عباس الجرارى : أثر الاندلس على أوربا ص ٢٣ ٠

الى ما كتب فى الفلســفة والنفس والهندســة والفلك فانه فيلسوف الأندلس وامامها فى الالحان (١٢٣)٠ ويعتبر فى المغرب الاسلامى بمنزلة ابى نصر الفارابى بالمشرق ، واليه تنسب الالحان المطربة بالأندلس التى عليها الاعتماد (١٢٤)، وكان صاحب مدرسة نبغ فيها كثير من التلاميذ كأبى عامر محمد بن الحمــارة الغرناطى الذى « برع فى علم الالحــان واشتهر عنه انه كان يعمد للشــعراء فيقطع العود بيده ثم يصــنع منه عــودا للغنــاء وينظم الشــعر ويلحنه ويغنى به (١٢٥) ٠

ومن معــاصرى ابن باجــة يذكر ابو الصــلت اميــة ابن عبــد العزيز الدانى تــوفى ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م وكان «متقنا لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعودة» (١٢٦) ٠

وابن الحاسب المرسى الذى سلف القول بان له كتابا كبيرا فى الموسيقى يتكون من جملة اسفار وهو « فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب ٠٠ شيخ هذه الطريقة» (١٢٧)٠ ومن تلاميذه ابو الحسن بن الوزير ابى جعفر الوقش الذى كان ولوعا بالموسيقى « وقد رزق فيها ٠٠ ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكأس للخليع» (١٢٨) ٠ وجاءت بعد هؤلاء فئة يذكر فى طليعتها يحيى الخدوج الموسى صاحب « كتاب الأغانى الأندلسية على منزع الأغانى لأبى الفرج ، وهو ممن

---

(١٢٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ١١٩ ٠

(١٢٤) المقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٥ ٠

(١٢٥) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ١٢٠ ، المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٤٠ ٠

(١٢٦) ابن أبى اصبعية : عيون الانباء ص ٥٠١ ٠

(١٢٧) المقرى : نفح ج ٤ ص ١٣٨ ٠

(١٢٨) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

ادرك المائة السابعة » (١٢٩) ، وكذلك الفيلسوف الصوفى عبد الحق بن سبعين الذى له كتاب الأدوار (١٣٠) ٠

وقد عنى بعض هؤلاء الموسيقيين ، كذلك بصنع الآلات ، وقد تجلى هذا فى العدد الهائل من الآلات التى كانت مستعملة في الأندلس ، والتى وصلت الى احدى وثلاثين آله ، وهى الدف والغربال والمصافق والكبر والاصف والمزهر والعود والكران والكيثار والمعرف والمزمار والناى والقصابة والبوق والطبل والمكوس والكوبة والعير والطنبور والبربط والقضيب والشاهين والساقس والشيزان والكنارات والعرطبة والصفارة والشبابة » (١٣١) ٠

كما ذكر ابو الوليد الشقندى فى رسالته عن فضل الأندلس ، اثناء حديثه عن اشبيلية عددا كبيرا منها « كالخيال والكريح والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والضنار والزلامى والشقرة والنورة ــ وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والأخر رقيقه ــ والبوق ، وان كان جميع هذا كان موجودا فى غيرها من بلاد الأندلس فانه فيها اكثر واوجد » (١٣٢) ٠

وهكذا عرفت الأندلس حركة موسيقية متطورة ومزدهرة وان التشكيل الموسيقى كان على بنيويه متسقة تبدأ بمقدمة تفضى الى تناول موضوع متنوع قبل الانتهاء بخاتمة وليس من شك فى ان هذا النظام البنيوى كان يعتبر جديدا (١٣٣) ٠

---

(١٢٩) المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ١٨٥ ٠

(١٣٠) عباس الجرارى : أثر الاندلس على اوربا ص ٢٦ ٠

(١٣١) المرجع السابق ص ٢٧ ٠

(١٣٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ٢١٣ ٠

(١٣٣) عباس الجرارى : أثر الاندلس على اوربا ص ٣٠ ٠

وقد كان من أثر زرياب ومدرسته الموسيقية ، وان أصبح للخلفاء والأمراء وآكابر القوم شغف خاص بالموسيقى والغناء ، وحتى لقد مارسه الكثير منهم على سبيل الهواية لا الا حتراف (١٣٤) ٠

ولما جاء المرابطون الى المغرب ، حرص داعية المرابطين على الالتزام بتعاليم الدين (١٣٥) ، الا ان هذه الشدة فى بدء قيام الدولة ، اخذت تخف حدتها بعد ذلك ، وصارت هناك بعض الجوارى اللائى يحسن الغناء (١٣٦) ٠ ومال المرابطون الى الوان الترف بعد احتكاكهم بالأندلسيين ، واطلاعهم على أساليب الحياة فى المدن الأندلسية معا جعلهم يتأثرون بحياة الرفاهية والمتعة ، والتى كان يحياها ابناء الأندلس ، وصارت هناك مجالس للطرب (١٣٧) ، وكان ابن باجة فى طليعة جلساء الأمير المرابطى آبى بكر بن تافلويت ، الذى كان آميرا على سرقسطة (١٣٨) ، واصبحت ادوات اللهو والغناء متوفرة فى معظم المدن المغربية مما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين (١٣٩) ٠

وبالرغم من ان الموحدين فى آول عهدهم تصدوا بشدة لكل وسائل اللهو الا ان هذا التشدد لم يجد استجابة كاملة من أبناء الشعب ٠ فيذكر الشقندى ، وهو يتحدث عن آلات الطرب الأندلسية فى رسالته التفاخرية يتعرض للمغرب

---

(١٣٤) د٠ محمود أحمد الحفنى : زرياب ص ١٣٩ ٠

(١٣٥) ابن أبى زرع : الانيس المطرب جـ ٢ ص ٢٠ ٠

(١٣٦) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ص ١٢ ٠

(١٣٧) د٠ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ٠

(١٣٨) عباس الجرارى : أثر الاندلس على أوربا ص ٣٠ ٠

(١٣٩) ابن أبى زرع : جـ ٢ ص ١٠٨ ٠

بقوله : «وليس في بر العدوة من هذا شيء الا ماجلب اليه من الأندلس ، وحسبهم الدف واقوال واليرا وابو قرون ودبدبة السودان وحماقى البربر » (١٤٠)

ويبدو ان المغرب كان يعرف فى هذا العصر من ايقاعات الرقص والغناء الوانا اختص بها عبيد السودان على حد مانقرأ فى ترجمة القائم بن عبد الله بن محمد بن حماد ، وكان ولى القضاء فى المغرب والأندلس ثم استقر به المقام فى تاورا من ضواحى مدينة مكناس . وكان قد « انتقل اليها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م فخرج للقائه أهل تاورا أوفرما كانوا عددا وثروة وسرعان مالقى الفنانون على يد الموحدين تشجيعا كبيرا ، فنجد الوزير أبا بكر بن زهر منقطعا الى الخليفة يعقوب المنصور ، وشاعت فى اواسط الناس موشحات القاضى ابى حفص بن عمر بفضل الحانها ، ودخل سلا ابو الحسين بن الحمارة الغرناطى تلميذ ابن باجة فى القريض والموسيقى . بل ان أحد أمراء هذه الدولة المتأخرين ــ وهو أبو الحسن على بن عمر بن عبد المؤمن ، يصبح من اهل الولع بالموسيقى فيفتح لروادها بيته (١٤١) .

على ان المغرب برصيد علاقاته الوطيدة مع الأندلس ، ورصيد حضارته ، كان مستعدا لاحتضان تراث الأندلس الموسيقى وصيانته حتى اصبح المغرب بدءا من العهد المرينى يتوسلون بالموسيقى فى علاج المرضى ، على حد ما كان يتم فى مستشفى سيدى فرج بفاس ، حيث حبست عليه احباس

---

(١٤٠) المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ص ٢١٣ .

(١٤١) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٠٢ ، عبد العزيز بن عبد الجليل : مدخل الى تاريخ الموسيقا المغربية ، (الكويت ١٩٨٣) ص ٣٧ ، ٣٨ .

خاصة ، كانت تصرف لجوق الطرب الأندلس الذى كان يحضر مرة كل اسبوع ليطرب نزلاء المستشفى من مرضى الأعصاب (١٤٢) • وظل المغرب محتفظا بالنوبة (١٤٣) الأندلسية الى اليوم (١٤٤) •

علم الهيئة (الفلك) :

علم الهيئة أو الأفلاك هو علم يبحث في حركات الكواكب، ومن فرعه علم الازياج (علم التنجيم) الذى يبحث فى مواضع الكواكب فى أفلاكها ، وكيف يمكن به معرفة الشهور والأيام والتواريخ السابقة ، والتنبؤ بالحوادث المستقبلة • وكانت لهذه الصناعة فى عصر بنى مرين قوانين كالمقدمات والأصول لها فى معرفة الشهور والتواريخ الماضية ، وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض ، والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض ، يضعونها فى جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين ويسمونها (الازياج) • واذا كان كتاب المجسطى لبطليموس الفلكى هو المرجع التى تقف عنده النظريات فى علم الهيئة حتى عصر بنى مرين ، فان زيج ابن اسحاق (من منجمى تونس فى أول المائة السابعة للهجرة) هو أهم المراجع فى علم الازياج ، وقد لخصه بن البناء العددى (١٤٥) فى كتابه : (منهاج الطلاب فى تعديل

---

(١٤٢) عباس الجرارى : أثر الاندلس على أوربا ص ٤٣ •

(١٤٣) النوبة : لون من الناء ينتمى الى التراث الغنائى الاندلسى ، وتتكون النوبة من مجموعة من القوالب الغنائية تتوالى بترتيب معين ، وهى فى المغرب تتكون من خمسة أقسام يسمى كل قسم منها ميزانا (عبد العزيز بن عبد الجليل : مدخل الى تاريخ الموسيقا المغربية ص ٤٦) •

(١٤٤) نفس المرجع ونفس الصفحة •

(١٤٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٠ ، ٤٦١ •

الكواكب) ، كما كانت له عدة مؤلفات فى علم الهيئة منها : (تنبيه الفهوم على مدارك العلوم) و (المناخ فى تعديل الكواكب) ، و (المستطيل والسيارة فى تعديل الشارة ، و (المناخ فى رؤية الأهلة) ، و (المناخ فى تركيب الأزياج) ، كما كان له أيضا تأليف فى أحكام النجوم ، ومداخل ثلاثة لصناعة الأحكام النجومية (١٤٦) .

وكانت لابن البناء العددى أيضا عدة قوانين تمثل خلاصة دراسته وأبحاثه فى هذا المجال مثل : قانونه فى معرفة الاوقات بالحساب ، وقانونه فى فصول السنة ، وقانونه فى ترحيل الشمس (١٤٧) .

ومن علماء الهيئة فى عصر بنى مرين البارزين أيضا عبد الرحمن بن محمد الجاديرى المتوفى سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥ م (١٤٨) .

علم تقويم البلدان (الجغرافيا) :

الجغرافيا كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض ، وهو علم يبحث فى أحوال الأرض من حيث تقسيمها الى الاقاليم والجبال والأنهار ، والمعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم وأخلاقهم ، واختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع وماينشأ عن ذلك فى أبدان البشر وأخلاقهم (١٤٩) .

---

(١٤٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧٦ ٧٧ .

(١٤٧) المصدر السابق : ص ٧٧ .

(١٤٨) الكتانى : سلوة الانفاس ج ٢ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(١٤٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٩ ـ ١١٢ حاجى خليفة : كشف الظنون . استنبول ١٩٤١ م ص ٥٩٠ .

وكما اشتهر الاندلسيون بولعهم الشديد بالكتابة التاريخية ، اشتهروا أيضا بولعهم الشديد بالرحلة والأسفار والتنقل لهذا ظهر من بينهم نخبة ممتازة من الرحالة الذين زاروا كثيرا من نواحى المعمورة ، وسجلوا ماشاهدوه وعاينوه ، أو قرأوه فى وصف تلك البلاد ، فحفلت مؤلفاتهم بمادة جغرافية وفيرة عن العالم المعروف فى ذلك الوقت (١٥٠) .

وبطبيعة الحال كان وصف وطنهم جزيرة الاندلس يحتل مكانا بارزا فى مؤلفاتهم فتحدثوا بالتفصيل عن خططها ومسالكها ومدنها وكورها وأنهارها وجبالها والتوزيع الادارى لأقاليمها ونسبة كل اقليم الى الآخر من الوجهة الجغرافية . كذلك اهتموا بضبط أسماء هذه الأماكن الجغرافية ضبطا صحيحا بحيث يتفق نطقها العربى مع نطقها الأسبانى ، ولم تقتصر دقة الاندلسيين على رسم الاعلام والتثبيت من نطقها ، بل تتجلى دقتهم أيضا فى محاولة الرجوع الى أصولها اللاتينية أو الأغريقية ، لتفسير معناها حسبما هو موجود لديهم فى كتابات الاغريق والرومان . مثال ذلك قول عبد الله بن عبد العزيز بن محمد المعروف بأبى عبيد البكرى المتوفى (ت ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) أكبر جغرافى أنجبته الاندلس . عند كلامه على طليطلة يقول ان تفسيرها باللاتينى تولاطو Tolatum ومعناها فرح ساكنها لحصانتها . وقد ثبت أن من مشتقات هذه الكلمة اللاتينية مايدل على معنى حافة الجبل المنكب وهو مايتفق مع وضعها الجغرافى . وقوله عند الكلام عن اشبيليه : المدينة

---

(١٥٠) د. أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٦٣ .

ورأيت لبعض المؤرخين أن مدينة أشبيلية تسمى أشبالى Hispalis ومعناها المدينة المنبسطة • وقوله في وصف ماردة Merida وقد احدق بالمدينة سور عرضه اثنا عشر ذراعا ، وارتفاعه ثمانية عشر ذراعا وعلى بابها كتابة ترجمتها بالاعجمية براءة لأهل ايلياء (بيت المقدس) • ويذهب دوزى وسيمونيت الى القول بأن الجغرافيين الأندلسيين كانوا على مرفعة بكتاب (أصول الكلمات) Etimologias للقديس ايزيدور الأشبيلى أو الباجى توفى ٥ هـ/٦٢٦ م ، وان البكرى بالذات نقل عنه أوصاف بعض النواحى وقد حقق أبناء المغرب فى عصر الموحدين قفزة علمية كبيرة فى الابحاث الجغرافية (١٥١) ، ومن أبرز علماء العصر من المغاربة نذكر الادريسى الذى من اشهر مؤلفاته كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، وابى على الحسن بن على الذى يرجع اليه الفضل فى تصحيح بعض آراء بطليموس الجغرافية ، وهو الذى حدد رسم خريطة المغرب بطريقة تختلف عن طريقة غيره من العلماء الجغرافيين الذين سبقوه فى هذا العمل وقاموا بنقلها نقلا آليا على ما هى عليه من الخطأ وترك مصنفا عد من آجل الاثار العلمية العربية فى علم الجغرافيا سماه بالبدايات والنهايات •

ويبدو أن تطور علم الجغرافيا فى المغرب لم يكن سريعا كما كان فى المشرق ، الا آن المغرب فى عصر بنى مرين عرف كثيرا من الجغرافيين الذين قاموا بدور هام فى تدعيم علم الجغرافيا العربية (١٥٢) ، واعداده بالمعلومات المفصلة لاسيما عن بلاد السودان ، وشمال القارة الافريقية ، وبعض أجزاء القارة الاوربية ، هذا الى جانب ابتكارهم للرحلات

---

(١٥١) د• أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الاندلس ص ٣٦٤ •

(١٥٢) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢٠٠ ـ ٢٢٠ •

الحجازية التى دونوا فيها ما شاهدوه فى طريقهم للحج حتى كادت كتب الرحلات تكون محتكرة على العلماء المغاربة والأندلسيين (١٥٣) .

ومن هؤلاء المغاربة الذين كانت لهم مؤلفات فى عصر بنى مرين فى علم الجغرافيا ذلك الجغرافى المجهول الذى وضع كتابه فى علم الجغرافيا سنة ٦٩٢ هـ/١٢٩٢ م والذى أشار فيه الى أنه نسخه عن جغرافيا الفزازى التى نسخها من أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد والتى جمعها سبعون رجلا من فلاسفة العراق وضعوها على صفة الأرض (١٥٤) .

وهناك أيضا ابن البناء العددى الذى وضع كتاب « المناخ فى تركيب الرياح » ، ومقالة فى علم « الاسطرلاب » ورسالة فى العمل بالصفيحة الزقالية ، ورسالة أخرى فى السكانية . كما كانت له عدة قوانين دعتبر خلاصة دراساته وأبحاثه فى هذا المجال مثل قانون فصول السنة (١٥٥) .

ومن علماء الجغرافيا أيضا فى عصر بنى مرين عبد الرحمن بن محمد الجاديرى المتوفى سنة ٨١٨ هـ/١٤١٥م والذى كان جغرافيا وفلكيا متفوقا استطاع أن يجمع بين العديد من المهارات فى هذا المجال مثل : العمل بآلة الاسطرلاب وبالصفيحة السكانية ، وبربع الدائرة ، والعمل بالحساب

---

(١٥٣) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم القسم الأول ص ٢٧٤ ، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين . بيروت ١٩٥٧ م ص ٧٥ .

(١٥٤) مجهول : كتاب فى الجغرافيا مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ص ٩ .

(١٥٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٧٦ ، ٧٧ .

والجدل ، كما كانت له مؤلفات جغرافية مثل (تنبيه الأنام على ما يحدث فى أيام العام) و (روضة الأزهار فى علم وقتى الليل والنهار) (١٥٦) ٠

---

(١٥٦) الكتانى : سلوة الانفاس ص ١٥٧ ، ١٥٨ ٠

المحتويات